الأديان

في كفة الميزان

محمد فؤاد الهاشمي



الأديان في كفة الميزان

الدكتور محمد فؤاد إلهاشمي
القس السابق

كتاب الأديان فى كفة الميزان تأليف محمد فؤاد الهاشمى المفكر والباحث الكبير يتناول خلال الكتاب دراسة موضوعية ومنهج بحثى واقعى عن طريق سرد عدة مقالات فى فصول الكتاب المختلفة بأسلوب سلس ولغة واضحة يبحث من خلالها في مقارنة لما تَدَيَّن به البشر منذ القدم من ديانات وضعية وديانات سماوية ويعقد مقارنة بينها وبين الإسلام في مواضيع مختلفة ومن هذه الأديان: الديانة البرهمية - الديانة البوذية - ديانة قدماء المصريين - الديانة الصينية الكنفوشيوسية - ديانة الكلدانيين - الديانة الفارسية - الديانة اليونانية - ديانة الرومان – اليهودية – النصرانية – الإسلام .
الكتاب مميز بوضوح لغته وسلاسة أسلوبه، وغزارة معلوماته .

مقدمة

فى جلسة مع صديقين فى مكتب أحدهما ، وكنا نطرق من الحديث عامة وخاصة ، حتى دق التلبفون فتناول أحد الصديقين السماعة ، ودار الحديث بينه وبين المتحدث من الجهة الأخرى ، وكان كأنه بين تلميذ وأستاذه ، حيث كان صديقى يتحدث فى أدب جم مما جعل ثانى الصديقين بسأل عن المتحدث الذى لم يكد يسمع اسمه حتى بدت على وجهه أمارات عن مدى احترامه وتقديره للاسم مما أثار فضولى فسألت عمن يكون هذا المتحدث الذى حاز إجلال صديقى ، فرد أحدهما يقول : المتحدث كان متهما فى إحدى القضايا وكنت حينذاك القاضى الذى حكم عليه بالسجن خمس سنوات ٠ وكنت مطبقا لأحكام القانون حيث لم يتمكن من إقامة الدليل على براءته من تهمة عرفت فيما بعد أنه كان بريئا منها ، وقد عرفت ذلك بعد أن خرج من السجن واعتزلت القضاء ، ثم أتت الصدفة التى جعلت كلا منا صديقا للآخر بما يشبه المعجزة ، ثم استرسل صديقى فى حديثه عن صديقه وقال عرفت المتحدث متدينا عارفا لدينه ، عالما بقواعده وأسراره ، مطبقا لنصوصه وأحكامه ، غيورا على الدين ، لا يخاف فى الحق لومة لائم ، مما كان له الأثر فى أخلاقه ، فقد جمع بين عذوبة الحديث وحسن المجاملة ، التى لم تكن على حساب الدين ، مهذبا شديدا عندما يمس ماس كرامة الدين ، واستطرد فى حديثه : لقد جعل الدين من الذين يفهمون أصوله أناسا يختلفون فى مشاربهم عن باقى البشر ، فالمروءة والشهامة والحلم من أهم صفاتهم ، ثم تحدث عن نفسه : كنت لا أعرف عن الدين شيئا ، كما كنت أظن أن الدين بدعة مبتدعة أو خرافة من الخرافات ، أو رجعية متأصلة فى نفوس معتنقيه ، ثم عرفت صديقى المتدين فعلمت ما لم أعلم عن الدين ، وعرفت الله فيه ، وتطورت كراهيتى للدين حبا ،

وتحول بغضى للمتدينين عشقا ، وهديت إلى صراط الله العزيز الحميد ، فتبدلت إنسانا غير الإنسان الأول ، أصبحت أخشى الله وأراقبه فى كل غدوة وروحة . وهنا بدأت أحس بالرغبة الملحة فى الاشتراك فى الحديث ، مع أنى كنت زاهدا فيه فى بدء الجلسة ، فتحدثت عن التدين والعقيدة ، وأثر الدين على الضمير الإنسانى ، وما يحدث من تطهير وجدانى ، وكيف أن الإنسان متدين بفطرته ، وأن العقيدة بالألوهيات هى أسبق العقائد التى غرست فى الإنسان يوم خلقه ·

قصة الخليقة :

فقد خلق الله آدم من تراب ونفخ فيه من روحه ، وليس فى الناس من يجهل قصة آدم عليه السلام ، الذى خلقه الله وأمر الملائكة أن يسجدوا له ، " فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبي ان يكون مع الساجدين " ، فغضب الله عليه وطرده من رحمته ، وقال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، وحنرهما أن يفتنهما الشيطان فيخرجهما من الجنة ··· ولكن الشيطان استطاع أن يستدرجهما إلى المعصية فأكلا من الشجرة ... وما لبثا ان أدركهما الندم ، وأرادت المشيئة الإلهية ان يغفر الله لهما ، ولكنهما أخرجا من الجنة إلى الأرض حيث هبط الشيطان ، واستخلف الله آدم وبنيه فى الأرض ، وكانت الملائكة تستشرف إلى هذه المرتبة الرفيعة حيث أخبرهم سبحانه انه جاعل فى الأرض خليفة ، ولكن آدم وبنيه ذهبوا بشرف هذه الكرامة لما ميزهم الله به من الأسرار والمواهب التى تؤهلهم لذلك ·
فحادث ابنى آدم الذى قتل أحدهما الآخر حقدا من القاتل على المقتول وحسدا له ، لأنه قدم قربانا لربه فتقبل منه ولم يتقبل من الآخر ، وبعد أن ارتكب القاتل جريمته لم يعرف كيف يوارى سوأةأ ، فاعتراه ندم ولو إلى حين ، فبعث الله إليه غرابا ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ، فنبش الغراب فى الأرض وتعلم

الإنسان كيف يوارى خطيئته التراب ، فيستيقظ فيه الضمير ويقع تحت وطأة العذاب الوجدانى .
ولست أقصد من سرد القصة علاجا مثل الذى طرقه الثعالبى فى عرائسه ، أو تتبعا للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فى عرضه ، إنما قصدت أن أخرج من القصة بمعانى تتفق والهدف من إخراج هذا الكتاب ، الذى قصدت به أن أضع الميزان وعلى كفته الأديان وضعية أو سماوية وكي5ية علاجها للإنسان ومشاكله التى تتطور بتطور رقيه وحضارته .

العقيدة ·

فمن قصة خلق الإنسان وخروجه من الجنة ومؤهلاته من الأسرار والمواهب نشأت الطاعة والمعصية ، والسيئة والحسنة ، وتولدت فى الإنسان صورته الحية ، وغمرت هيكله صورته المعنوية ، وفطر على أن يتطلع إلى قوة أكمل من قوته ، ويبحث على قدرة أعظم من قدرته ، وعرف أن إدراكه محدود وأنه فى حاجة إلى إدراك يفوق إدراكه ، وأن أسراره ومواهبه عجزت أمام أشياء ، فبدأت نفسه تستشرف إلى جهة تملك أسرارا ومواهب أسمى من أسراره ، ولذا نجد أن الإنسان دائما نزاع إلى أن يشرئب ويتسامى بنفسه ليطل على صورة معنوية أتم من صورته يدين لها بالخوف والحب والطاعة ، وهذه العاطفة هى أسبق ما غرس فى نفس الإنسان من عواطف منذ خليقته ، ومعنى ذلك أن الإنسان جبل على أن يكون ذا عقيدة فى صحة شىء أو بطلانه، أو صحة شىء وبطلان آخر .
وكما أن الإنسان جبل على حب الاحتفاظ بكيانه الاجتماعي وكمال حياته الداخلية والخارجية مما دفعه إلى الموازنة بين ما يعيش فيه من ظواهر طبيعية وما تتطلع نفسه إليه من حقائق تسود تلك الظواهر وتبسط سيطرتها الكاملة على تلك الظواهر ، وهذا يجبره على الإعتقاد بصحة جزء كبير من الحقائق الوجودية التى يزكيها تدبره فى الوجود أو استنتاجه ، فلابد أن يكون مدينا بطبعه من حيث أنه دائم الرغبة فى التسامى سواء

كانت الرغبة شعورية أو لا شعورية ، وحسبنا انه ينشد فى وجوده غاية ، ويستهدف فى حياته وما بعدها هدفا أسمى من أهداف الجسد ومراميه .

التأمل ٠

وما دام الإنسان يتطلع إلى وجود غاية أو الوصول إلى هدف فهو معتقد بالطبع ، والإعتقاد وليد التطلع ، والتطلع وليد التأمل ، حيث لا يمكن أن يقال أن التأمل ناشى، دون أساس ، فالتأمل لا يمكن نشوؤه إلا عن معتقد أو لأجل اعتناق معققد ، فقد يبدأ الإنسان مقلدا أبويه دون إدراك لحقائق الأمور والمعتقدات التى يسيران عليها ، غير أنه حين يشب ويتأمل فى حقائق الوجود ، يظهر له التأمل ما خفى عليه إن كان منأولياالألباب ، فتتولد عنده الرغبة فى البحث عن أدلة الاثبات والنفى ، فاذا اعتراه شك فى كنه شىء مما يعتقده وقام صراع خفى أو ظاهر بين عقله وعقيدته ، فإنه يبدأ استعراض المبادئ، التى يقوم عليها اعتقاده ابتغاء إيجاد نتائج يؤيدها اليقين وبذا يرسخ يقينه فيما يعتقد أو يشك ، ويكون هذا المأزق الحرج حيث انه يعز عليه ان يلغى دينه ومعتقده ، كما يعز عليه عقله ان يلغى ، ومن ثم يحاول المزج بينهما ، ثم يصدم بعقبة كؤود حين يجد أن هذا المزيج غير مستساغ ، لأنه غير مستطاع أن يمزج بين الحق والباطل .

الشر والخير :

ومن التأمل عرف الإنسان كيف يميز الخير من الشر ، وعرف أنهما صفتان متنافرتان لا يمكن أن تشارك إحداهما الأخرى فى كيان مخلوق واحد وهذا ما يدل على أن الإنسان الأول فرق بين شعائر السحر والشعوذة ، وبين شعائر العبادة ، وكان هذا التمييز بداية لحلول كثيرة عالج الإنسان بها مشاكله ، ولما كان الإنسان نزاعا إلى التطور ، فقد ظل يتدرج فى مراقى الحضارة ، وتطور عقله ، ولكنه كان كل مرة يبحث عن القوة المسيطرة على الكون وهو جزء ض الكون حتى عبد آلهة كثيرة

متعددة حتى جاء حين من الدهر فعبد إلهين ، أحدهما يرمز إلى النور وسمى الآخر إله الظلام ، واشار إلى النور بالخير ، فكان إلهه إله الخير ، وعبر الشر بالظلام فكان إله الظلام ، وهو إله الشر ٠

ورغم هذا التطور الإدراكي لم يرض الإنسان به ، حيث أن النزعة فيه من بدء خليقته واضحة المعالم ، وذلك ما يدل عليه استغفار آدم وتوبته ، وندم ابنه الذى قتل وعجز عن أن يوارى سوأة أخيه .

ومن هنا يمكن أن نقول ان نزعة التوحيد لازمته منذ نشأته وان كانت غير مبلورة أو ناضجة ، ولذلك تولدت عنده صفة عدم الاقتناع مما ينتج عنه أنه عرف أشياء سميت بأسماء وأصبحت ضمن نواميس حياته ، فالوهم والخيال والواقع والتكامل صفات أصبحت من أهم الركائز التى يعيش عليها الإنسان ، وقواعد لازمة له فى حياته ، وعلى هذه الركائز والقواعد بنى محور البحث ، ثم صار البحث بحوثا ، وبذلك تعددت الآراء وكثرت الحلول ، وجد واجتهد الحكماء وفقهاء الأديان فى تفسير الخير والشر على أساس تلك الركائز .

فمن قائل إن الشر وهم وخيال ، وإنه عرض زائل يزول ويقوم على أنقاضه الخير ، وإن الشر ألم موهوم ، والخير لذة موهومة ، ومن قائل يقول : إن الشر لا يناقض الخير ولكنه جزء متمم له فى الحياة ، إذ لامعنى للإفطار بغير صوم ، أو للصلاح بغير طلاح ، ولا معنى للعزة بغير ذلة ، كما أن لا معنى للحياة بغير الموت ، ولا معنى للمعصية بغير طاعة ،ولا معنى للفرح إلا بالترح ، ولا معنى للجمال ما لم يكن هناك قبح ، وذلك ما يقال عنه بالتكامل .

ومن الذين بلغوا مراتب فى هذه الابحاث الذين يؤمنون بالواقعية ، وهم أقرب إلى الحقيقة من غيرهم ، حيث يصلون إلى حلول تبلغ مرتبة تريح عقل الإنسان ، وإن تفرعت به بعد ذلك إلى طرق أخرى وكثيرة فى البحث والتنقيب عن الحقائق

التى يحاول الإنسان جادا البحث عنها ، فالمخترع عندما يفكر فى اختراعه يكون قد بنى تفكيره على أثر رؤية شىء مطبق فى حياته العملية ، أو عثر عليه بطريق الصدفة ، ثم يبدأ العمل صغيرا ، وربما كان الخيال رائده فى بادى، الأمر ثم يصدم بالواقع فيدخل عليه التحسينات والتطورات حسب الواقع ، ثم تنتهى التجارب وينتهى الإدراك ويقف عند حد معين تسمى الآلة بعدها اختراعا ، ويتطور الزمن وتتطور الحضارة وتصبح الآلة عاجزة تمام العجز أمام احتياجات البشر والتزامات الحياة المتطورة ثم يأتي مخترع فيخترع آلة تتمشى مع المدنية والحضارة، وهنا يكون إدراك أتم من الإدراك الأول.

الديانات

وكذلك أرادت حكمة الله سبحانه وتعالى ورحمته بعباده ، وهو الذى أراد أن يتطور الإنسان ويترقى ، فبسط رحمته على عباده بأن أرسل إليهم الأنبياء والرسل هداة نبيا بعد نبى ورسولا تلو رسول حسب احتياجات كل عصر وعقول البشر فى ذلك العصر ، وهؤلاء الرسل والأنبياء جميعا إنما هم يمثلون أسرة واحدة ذات فروع وجذوع ، وذلك هو واقع التاريخ، كما ورد فى الكتب السماوية جمعاء وجاء القرآن مصدقا لتلك الكتب فأورد قول الله عز وجل "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إبراهيم وَإسماعيل وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ٠ومن أولئك الرسل والأنبياء الذين كان يبعثهم الله منذ تاريخ البشرية حينا بعد حين كلما خبا نور الروح الإلهي وراء أقذار البشرية والرموز الكهنوتية ، وكلما وضع مصباح الروح تحت مكيال المادة ، وطمست معالم القانون الأول ليقيموا منار إلهدى وينعشوا روح التعاليم الإلهية، وينقذوا التوحيد من براثن الشرك والأساطير ، وهؤلاء الأنبياء والرسل عددهم لا يحصى لأنه كبير جدا متوالى خلال الدهور والعصور ، ومن أخصهم وأعظمهم الرسل المكرمون ، آدم ونوح وإدريس وإبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام ، وأولئك أولو العزم من الرسل .
والديانات كانت فى عهد مؤسسيها منار الهدى ومدارا للحب والسلام ، ومبعثا من بواعث طمأنينة القلوب ، وبعد أن مات مؤسسو الأديان سار أتباعهم بسيرة صاللة تناسب نوعا ما سيرة هداتهم الأطهار ، وإن لم تتفق معها تماما ، ثم قضيت عصور أولئك أيضا ، وابتدات عصور مقلديهم الذين انحطوا عمن تسلموا منهم أمانة الدين والهدى والإيمان والحق انحطاطا هائلا فى جميع نواحى الحياة الروحية . وهكذا انقضت عصورهم وقام على آثارهم غيرهم ، وجلهم يجتبى فى نفسه مجد العالم ، وان كانت أزياؤهم ونفوسهم تمثل المجد الروحى ، وأصبح الدين مع سمو جوهره وحقيقة مصدره قضايا كلامية لا تجد لمسائلها وهوامشها المتسعة منطقا يبررها ولا إيمانا يسندها ولا عقولا تقبلها ، وإن كانت من أعز الحقائق فى أصولها .
وغير هؤلاء الرسل والأنبياء فقد ظهر حكماء وضعوا نواميس وان كانت وضعية ، إلا أنها لا تبعد كثيرا من نواميس الأديان ، وإن تخللها بعض الثغرات . وذلك سنة الإنسان أنه لا يمكن أن يصل إلى الكمال المطلق فيكون عمله ناقصا ، وكاد هؤلاء الحكماء أن يكونوا أنبياء ، وهم على كثرة عددهم ، ولكن لم يشتهر منهم وأصبح له أتباع ومدارس ومؤمنون بحكمتهم وتقديسهم إلا كرشنا ، وبوذا ، وعرمس وزورستر " زردشت " ، كما ظهر فلاسفة آخرون مثل طاليس وصولون ، وسقراط وأبى قور ، وفيثاغورث ، وأفلاطون ، وأرسطوطاليس ، وكل هؤلاء يمثلون مدرسة واحدة تعمل لنشر تعاليم ومبادىء قريبة من التوحيد ، تعاليم ترقى الروح إلى معارج القدس وتطهيرها وتصفيتها مما يشوبها من خبائث الصغائر الأرضية وعلى ذلك فاننا لن نتعرض فى كتابنا هذا للأديان أو نمسها إلا بمقدار ما تنفض عن حقيقتها الجميلة غبار الرياء والنفاق والخداع والتصنع ، وتدفع عنها قول الإلحاد وفحش السخرية والازدراء ٠

وإنما أردت بكتابى هذا أن أوضح طريقة المبادئ، والأديان فى علاجها للمشاكل المتعلقة بالإنسان من الناحية الروحية والمادية ، ووقوفها بجانبه من مولده إلى مماته ، كل دين على حده وفى كل مشكلة . ثم يظهر أي دين من الأديان السماوية قد نظم حياة الفرد والمجتمع حتى يلجم المفترون على الأديان وتخرس ألسنتهم . وان كنت سأبدأ بالتعرض للمبادىء الوضعية لكى يعلم من لا يعلم أن المبادئء الوضعية مهما بلغت حكمة واضعها فلابد أن تكون فيه ثغرات تكون عاملا من عوامل اندحارها وزوإلها ، وأنه لا يبقى إلا من كان من قبل الله خالق الحكماء ومرسل الرسل والأنبياء الذى بعلم حاجة عباده ، وما هو شر لهم وما عو خير .

والله الموفق إلى سواء السبيل ...

المؤلف محمد فؤاد إلهاشمى

الباب الأول الأديان والعقيدة

تمهيد :

قبل التعرض للأديان السماوية ومقام العقيدة فيها ، آثرت التعرض لبعض الأديان القديمة التى لم يرسل بها نبى أو رسول ، والتى لم يوصى بها من السماء ، وذلك لكى نتبين الوضوح التام والنقاء الفطرى الذى فطر عليه الإنسان من توحيد لله وعدم الشرك به لولا ان دخلت بعد ذلك الأديان فى طور الانحدار وما أحدثه الكهنة والقواد الروحانيون من بدع ورموز وطقوس حولت العبادة فيها إلى شرك وإشراك .

ومن أهم الديانات التى نتعرض لها :

١ - الديانة البرهمية .

٢ — الديانة البوذية ٠

٣ — ديانة قدماء المصريين .

٤ - الديانة الصينية الكنفوشيوسية ٠

٥ - ديانة الكلدانيين .

٦ - الديانة الفارسية .

٧ - الديانة اليونانية .

٨ — ديانة الرومان ٠

وبعد أن نوفى الغرض المقصود من تلك الديانات ، نخرج منها إلى الديانات السماوية المشهورة كالديانة اليهودية والديانة المسيحية والدين الإسلامي ٠ وليس المقصود من التعرض لتلك الديانات إلا الحصول على ما يوصلنا إلى الغرض المقصود من هذا الكتاب .

الفصل الأول الديانة البرهمية

الله

جاء فى أحد فصول الفيدا ذكر الإله واسمه " برهما سباتى " حسب ما هو مكتوب باللغة النسكريتية القديمة ومعناه " رب الصلاة " مجيب الدعاء ، المتصرف فى ملكوته السماوى والأرضى إله حق

اذن فالله عند قدماء البارهمة واحد لا شريك له سرى منه الروح فى جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان ، وقد ورد ما يؤيد ذلك فى أسفار الفيدا وما ترجمته " انا الله نور الشمس ، ضوء القمر ، بريق اللهب ، وميض البرق ، صوت الريح ، أنا الاصل القديم لجميع الكائنات ، منى الحياة لكل الوجود ، معطى الصلاح ، أول ، آخر حياة ، موت ، لكل مخلوق حى " .

عقيدة البراهمة ٠

وتتلخص عقائد البراهمة فى بنود تدل على وحدانية الله ، وهذه هى البنود المهمة فى الموضوع :

ا — اسم الإله الظاهرى " برهما سباتى " والاسم الخفى " زيوس " .

٢ — الإله هو الاصل الأزلي الذى يستمد منه كل شىء وجوده ، لا تدركه الحواس وقد يدرك العقل بعض صفاته .

٣ - إن الإنسان حركة متغيرة مستمرة ، وروحه قبس من نور الله انفصل عنه إلى أجل ينتهى ، ثم تعود إليه بعد انتهاء الأجل ،و ذلك كالبخار الذى يصعد إلى السماء ثم يعود إلى الأرض أمطارا تجرى فى الأرض أنهارا ٠

٤ — غاية كل إنسان فى الحياة الاتصال بالله والرجوع إليه ٠

كتب الديانة البرهمية :

وكل هذه العقائد مكتوبة فى كتاب الفيدا المقدس الذى لم يعرف حتى الآن بدء كتابة أسفاره ، وإنما المحقق أن هذه

الأسفار أقدم من التوراة، وتتألف أسفار الفيدا من أربعة أسفار هى : :
" ا " الريجا فيدا .
"ب " الباما فيدا ·
"ج " الباجورا فيدا ·
" د " الاجارا فيدا ·
وكتب أخرى مفسرة تسمى " دماندرا مابترا " أي كتب الشريعة ، وكل التعالبم الدينية فى أسفار الفيدا على غاية من البساطة دون تعقبد وتدعو جميعها إلى توحيد الله .

فلاسفة وكهنة الديانة البرهمية :

وأهم من تعرضوا لشرح أسفار الفيدا الفيلسوف الهندي " مانو " الذى قال عن الإله إنه كائن بنفسه لا تصيبه الحواس المادية ، بل يعلم بالروح فقط ،و" كلوكا " الكاهن والفيلسوف ،وهو أشهر مفسرى الفيدا القائل : " ان المشتركين فى الأسرار مع تقديمهم القرابين لبعض قوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا معتقدين إلا برب واحد هو نبع كل عدل وحكمة ، المدبر الكل ، والمرتب لنظام الكون ولا اسم له إلا المستحق العبادة برهما"، ومن الفلاسفة المصلحين "كرشنا " وكان من تعاليمه "أن الجسد زائل إنما النفس الخفية عن النظر سرمدية" .

تعاليم الديانة البرهمية : أهم التعاليم فى الأديان البرهمية القديمة تتلخص فى الوصايا العشر للدين البرهمى وهى :

ا — الكائن الإلهى · ٢ - مقابلة الاساءة بالاحسان .
٣ , القناعة · ٤ - الاستقامة .
٥ — الطهارة . ٦ — كبح جماح النفس ·
٧ - معرفة الفيدا · ٨ - اجتناب الغضب .
٩ - الصبر . ١٠-- الصدق ·

واما ذبح الحيوانات وتحريم ذبح بعضها وغير ذلك من الإضافات ، فلم تظهر إلا بعد زمن بعيد حين وضعت الطقوس وتزايدت

الرتب الكهنوتية ، ففرضت على الشعب ذبح بعض الحيوانات وتقديس بعضها أو تحريم أكل اللحوم بتاتا .

انحدار الديانة البرهمية :

انحدرت الديانة الهندية عندما كثر الكهنة الذين جعلوا للديانة أسرارا خفية وأسرارا ظاهرة ، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر ، ومن هنا نشأ ما لم يكن أصلا فى الديانة البرهمية ، فنشأ النالوث الهندي المعروف وهو " برهما - فشنو - سيفا " .
فقد كانت العبادة فى الديانة الهندية القديمة قاصرة على أناشيد " الريجا فيدا " وهى أقدم أسفار الفيدا ، وكان الهنود لا بعرفون إلا إلها واحدا تحت إرشاد العباد والحكماء المخلصين ثم ظهر الكهنة على مسرح الحياة فابتدعوا من الأسماء والمسميات ما لم يكن له أصل فى كتب الفبدا ، بل تعدوا وغيروا بعض معانى الفيدا ، ولنضرب مثلا على ذلك ان كلمة " ورترا " المستعملة فى كتب الفيدا المقدسة ، وكانت ترمز إلى الروح الموكلة بالرياح الثائرة إلهوجاء ، فقد اطلقوها وأحلوا محلها كلمة " سيفا " التى وردت فى الثالوث الهندي ٠
ومن هنا يمكن أن يكون اليقين أن الثالوث الهندي بدعة من مبتدعات الكهنة وأصبح بدل الإله الواحد آلهة ثلاثة وأصبح الثالوث " برهما فشنو سيفا " على اعتبار أن فشنو وسيفا إلهان وقوتان نشأتا عن برهما ، وقد فسروا الثالوث الهندي أن برهما هو الإله الخالق ٠ فيشنو هو القوة الحافظة ، أو الإله الحامى للخليقة ، وسيفا القوة التى تفنى وتعيد وتحول ٠

التعبد الحالى عند البراهمة :

اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات ووضعوا نظام الطبقات التى نشير اليها بالشرح ، والطبقات عند إلهنود أربع تقل الواحدة عن الأخرى فى المنزلة حسب الترتيب ، فجعلوا أرقى الطبقات احتراما وتجلة ومنحها الامتيازات التى لا يحق لغيرها المشاركة فى تلك الامتيازات طبقة البرهماتمان ، وهم الكهنة والعلماء ، ثم يليها فى المنزلة طبقة " الخاترياس "

وهم رجال الحرب وحماة الأوطان ثم تلى بعد ذلك طبقة " البانيان " وهم الزراع والتجار ودنيا الطبقات هى طبقة الودرا وهم أرباب الحرف والمهن الدنيئة وهم المنبوذون .
وتد قصر الكهنة على أنفسهم وعلى المشتركين فى الأسرار " تلاميذهم " معرفة الحقائق العلوية وتوحيد الله وستروا الحقائق عن الشعب ، مما جعل الناس تلجأ إلى الشرك وتعدد الآلهة ، مما أوجد فى نفوسهم اليأس من الخلاص فى حياتهم الحاضرة أو المستقبلة ، حيث تعلم الهندي أن خلود الروح غير مدرك إلا أنتصل إلى درجة النقاء ، ولذا يكلف البرهمى نفسه أنواع الشدائد والجهد فى العبادة فى حياته بما فوق طاقته ، لكى يكفر عما وقع منه من معاصى ، أو عما سيقع منه من ذنوب مقبلة ، وهو دائم الكآبة والخوف ، كثير الهموم ، لا أمل له حتى فى الموت ، لأن الموت ئفسه فى نظره نيس مخلصا من الحياة المقبلة ·

الفصل الثاني الديانة البوذية

قبل الاستطراد فى التحدث عن الديانة البوذية ، يجب أن نوضح انه قبل ظهور الديانات الهندية ، واقدمها ديانة البراهمة كانت هناك ديانات سماوية ودعوات ربانية أتى بها أنبياء من قبل الله عز وجل أمثال شيث وإدريس عليهما السلام ، ولما طال الأمد على القوم تعرضوا لتيارات مختلفة وعديدة حتى جاءت الديانة البرهمية ، ساروا عليها وآمنوا بها حتى بدأ الانحراف الكهنوتى عن مبادىء تلك الديانة وكثرت المذاهب فى الهند وانتثرت الآراء وتعددت ، فانحرف أتباع البرهمية إلى الوثنية وعبادة التماثيل وساروا خلف كل بدعة ، وبذلك كثرت الشيع وكثرت أتباع كل شيعة ، وفقد البراهمة روح ديانتهم ونسوها ، وانجرف إلهنود انجرافا خطيرا مع التيار حتى وصلوا إلى أخطر مراحل الوثنية حتى ظهر " ساكيامونى " أو سيزارا ساجوتاما ، المشهور باسم " بوذا " بدينه المبتدع ٠

والحقيقة البوذية لبست فى نفسها ديانة سماوية أو دين وضعى ولكنها مذهب فلسفى مشتق من الديانة البرهمية مع ادخال تعديلات لبعض القواعد ٠

تاريخ بوذا:

ولد جوتاما مؤسس المذهب البوذى فى منتصف السنة الستمائة قبل الميلاد وكان أبوه امس يسمى " كايبلا غاستو " وسمى " سيزاراسا " أو ساكيا موتى جوتاما واسم ساكيا موتى يعطى معنى " المتبتل من عائلة ساكبا " وعاش عيشة ناعمة وتزوج فى سن التاسعة عشر ٠

كانت آمال جوتاما متجهة من صغره إلى التكمل فى الأخلاق والعادات ، ولما بلغ التاسعة والعشرين من عمره وأخذ يتأمل فى حالة بنى قومه وما وصلوا إليه من الذلة والمسكنة نتيجة نظام الطبقات الذى أحدثه كهنة البراهمة ، بغية إبقاء الشعب على حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا بهذه الوسائل للإمسك

بزمام الشعب والاستعلاء عليه من كل ناحية ، مما أدى إلى انحطاط الشعب الهندي فعكف على عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات ٠

فكر جوتاما مليا وظل يفكر حتى زهد فى العظمة الدنيوية ومجد العالم الزائل ، وكرهت نفسه ملذات الحياة ، ومن هذا التفكير بدأت رغبته تبدو جلية فى الإصلاح ، فغادر بلاط أبيه وترك ناعم الفراش ورغد العيش بعد أن زهد فى الحياة الدنيوية وخرج تاركا زوجته وبيته غير مفكر ولا ميال إلا لما عزم عليه ، فقد خرج إلى الجبال والأحراشى الكثيفة المليئة بالوحوش التى لم ترهبه ، بل انزوى يستهدى الفكر ويهذب الروح ، ويستطلع الغيب ويصهر جسده الذى أخذ على النعومة فى بوتقة الشقاء الجسمانى والرياضة الروحية ٠

تجلى الوحى لبوذا :

ويروى انه بينما كان " جوتاما ٠ جلسا فى ليلة من الليالى تحت ظل شجرة تين تجلى له النور وانكشف عنه الغطاء ، وعرف كثيرا من الأسرار ، وبذلك أطلق لقب " بوذا " أي العلم المستنير ، وعاد إلى الناس بعد أن قضى ستة عشر سنة يسرح بالفكر ويتأمل فى الكون وفى الملكوت ، عاد بمذهبه وبدأ ينشر دعوته ومبادئه على الشعب ، وتبعه أتباع كثيرون آمنوا بمذهبه وبمادئه ، وظل اتباعه وتلاميذه متمسكين بدعوته حتى مات فى الثمانين من عمره وأحرق جسده ٠

عقائد الديانة البوذية

الديانة البونية لا تشير إلى إله خالق سوى " الترفانا " والترفانا معناعا الإطلاق الطبيعى أو المتساوى أو بوذا نفسه ولم تتكلم عن إله صراحة بخلاف الديانة البرهمية التى تقول أن هناك إله بل بوحدة ذلك الإله . والذى لا يمكن أ بوذا نفسه لم يدع يوما أنه إله أو ابن آلهة ، ولكن مبالغة أتباعه هى التى جعلت من بوذا إلها ، ومن مذهبه الفلسفى والإصلاحى دينا، وهذه المبالغة قادتهم إلى الشرك والكفر ، وذلك ظاهر فى عبادتهم لبعض

الحيوانات وتقديسهم إياها ، والتغنى بمجدها واستجلاب مددها وتحريم ذبحها تحريما أساسيا والسجود لها فى كل لحظة ، وقد نشرت الصحف العالمية أنباء المذابح التى كانت تحدث نتيجة ذبح هذه الحيوانات ٠

تعاليم الديانة البوذية :

وتتلخص التعاليم البوذية الظاهرة للكهنة ، والخفية عن الأتباع إلا التلاميذ المشتركين فى الأسرار فيما يأتى ٠

ا - لا فرق بين جسم الامير وجسم المتسول الفقير ، اذن لا فرق بين روحيهما فكل منهما مستعد لإدراك الحقيقة والانتفاع بها ٠

٢ - يدعو بوذا إلى سلوك العمر الأوسط بين التلذذ والزهد الخالص فى الدنيا ٠

3- للعمر الأوسط ثمانى شعب هى : النظر الصحيح ، واللفظ 1لصحيح ، والإلهام الصحيح ، والتفكير الصحيح ، والسير الصحيح ، والحياة الصحيحة ، والجهد الصحيح ، والسرور الصحيح .

ويضع بوذا للحقيقة أركانا أربعة هى :٠

١ - الرغبة غير المدركة تؤلم ٠ ٢ - الشهوة أصل الألم .

٣ - لاستقبال الألم يجب نبذ الرغبة ٠ ٤ — لأجل منع الألم يقتضى اتباع الممر الاوسط ٠

ولا يوجد في تعاليم بوذا شىء عن الله أوعن تقديم ذبائح أو قرابين أو شعائر تعبدية ، فقد اهتم بنشر المحبة والإشارة إلى الالم ، ومن أهم معتقداته أنه لا يسلم بفكرة الخلود فى الوقت الذى يقول بمذهب التقمص ، ويؤمن أتباع بوذا بما يسمونه " كرما " أن الرغبة تنتقل فى الحياة الأخرى من شخص لآخر ، كما كان بوذا يلقى بتعاليمه شفاها ، مع أن الكتابة كانت معروفة ، وقد جمع تلاميذه أقوإله من أفواه المتحدثين والرواة والمؤرخين ، وكتبت كلها بلغة " بالى " لان اللغة السنكريتية. كانت قد انقرضت ، واتخذ التلاميذ والأتباع هذه الروايات المنقولة. كتبا دينية لها القداسة والحرمة المعطاة لكتب الفيدا

عند البراهمة حتى ان الفيدا باسفارها لم تعد لها عند أتباع بوذا أي مرتبة من السمو الروحى

قواعد الديانة البوذية

وتقوم الديانة البوذية على دعائم تعتبر القواعد الأساسية للديانة ، والأركان التى تعتبر خطوطا عريضة يتخذ منها التفسيرات والشروح بحيث لا تخرج لك الشروح والتفاسير عن هذه الدعائم الأساسية هى : ١ - الالم من لوازم الوجود ٠

٢ - الرجوع إلى هذه الدنيا مرة أخرى سببه اتباع الشهوات والنقائص فى الحياة السابقة " عقيدة التناسخ " ٠

٣ - الخلاص من الشرور والنقائص هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة للأرض فى تقمص جديد بعد الموت ٠

٤ - التخلص من العقبات التى توقف حركة الخلاص من الشهوات

٥ - التسامح والطيبة والشفقة والحب ولين الجانب ، والاقلاع عن الرغبات الباهظة والإضراب عن الضروريات الهامة ، وأشدها درجات الزهد فى الحياة نفسها متى كانت مبذولة فى سبيل تخليص الغير ٠

٦ - الاغراض فى الانكماش والترهب ٠

وبهذه القواعد والأسس يمكن للإنسان المطبق لها تطبيقا صحيحا ان يصل إلى " الترفانا " والترفانا فى عرف البوذيين عبارة عن بلوغ النفس الكمال الأسمى وانطلاقها من أسر المادة ، واجتماعها الأدبى بالترفانا وهى الكمال المطلق الغير محدود أو الذى لا يمكن وصفه إلا لمن انكشفت له الأسرار وكشف عن بصيرته الحجاب فتراءى له بوذا نفسه ، ومعنى ذلك أن يفنى المؤمن فى الروحانية البوذبة الكاملة ٠ ومع ما نرى فيه من بعض المبالغة ، إلا أننا نقول ان الديانة البوذية تدعو إلى المحبة ، وما نراه من انحرافها الفلسفى الذى لا يتفق مع العقل أحيانا فنقول انه خير من الظلم والقوانين التى يسير عليها أتباع بوذا اليوم وما ابتدعوه من الشرك والوثنية ،

والخضوع للنواميس الكهنوتية ، والعاب السحر والشعوذة التى جعلها الأتباع من أهم أسرار الديانة البوذية ٠

الفصل الثالث الديانة المصرية القديمة

اكتشف العلماء في القرن التاسع عشر الميلادى حقيقة المصريين ودينهم وشرائعهم ومدينتهم وتقاليدهم وعاداتهم وآدابهم ، وذلك بفضل ما عثروا عليه من الوثائق التاريخية التى وجدت مكتوبة على أوراق البردى ، ومن الكتابات والنقوش التى وجدت على واجهات المعابد والهياكل والقبور والمسلات والأعمدة وأغطية التوابيت وداخل تلك التوابيت ٠

وما جاء في مذكرات العالم الأثرى مانيتون يؤكد أن هناك أنبياء ورسلا أرسلوا إلى مصر ، وأن الأنبياء الذين بشروا برسالات الله في مصر ، هم الذين دعوا الناس فى الهند وفى قارة آسيا إلى عبادة الله وتوحيده وعدم الإشراك به، و لكنهم يقولون إن الدعوة فى مصر سبقت الدعوة فى الهند ، وأن نبى المصريين هو إدريس عليه السلام ، وأنه هو الذى انتقل إلى الهند فبشر برسالته ٠

إدريس عليه السلام

وما جاء فى كتب الملؤرخين عن إدريس عليه السلام يروى أنه ولد بمدينة , ادفو حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون بابل ثم رحلوا إلى مصروأنه كان يسمى ٠ جوروس " وقيل ان إدريس هو " خانوخ " باللغة العبرية الذى أطلق عليه باللغة العربية " اخنوخ " وسمى فى اللغة الهيروغليفية " خوروس " أو " هوروس ، وعرف " عرماكيس ٠ لم عره باسم " هرمس " وسماه البطالسة فيما بعد " أغتاذي مون " المصرى ، ويسمى فى الكتب المنزلة " إدريس ٠ ونسبه هو إدريس مهائيل بن قينان بن آنوس بن شيث ابن آدم عليهم السلام ، وقد ذكر المؤرخون أن مدة حياته كانت اثنين وثمانين سنة ، عاش خلالها يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن كل شرك ، كما دعا إلى الزهد والمحبة والعدل ، والإحسان ، وكان قربانه

البقول والذبائح وأنه أول من عرف العلوم الكونية والجيولوجيا والرياضيات وكثيرا من لغات أهل الأرض ، حتى قيل عنه انه كان يملك من الأسرار والمواهب التى كانت تؤهله لأن يكون الداعى المجاب ، حيث كان يحدث كل قوم بلغاتهم ولهجاتهم ، مما جعل الناس تأنس إليه وتلتف حوله ٠

تعاليم إدريس عليه السلام :

وقد عرفت تعاليم إدريس عليه السلام من الآثار التى اكتشفت وأخصها خاتمه الذى كان يتمنطق به ، ومن أقوإله التى وجدت مكتوبة على ورق البردى ، الذى سرقه الاجانب ووزعوه على المتاحف ودور الآثار فى أوروبا ، فقد وجد مكتوبا على خاتمه " الصبر والإيمان بالله يرثان الظفر " كما وجد على حزامه حكم بلغة ودروس قيمة منها "حفظ فروض الشريعة من تمام الدين ، وتمام الدين من كمال المروءة ، والمروءة خاصة من خواص الإنسان المتقى " وقد عثر ضمن آثاره على فراش كان يصلى عليه مصنوع من الحصير وكان مكتوبا على ذلك الفراش " السعيد من نظر نفسه فى مرآة صلاته وعبادته " كما كان من أقوإله المأثورة " حياة النفس فى الحكمة ، ومواتها في الجهل "

عقائد المصريين قبل الكهنة

كانت عقائد المصريين بادىء ذى بدء هى العقائد التوحيدية التى دعا اليها نبى الله إدريس عليه السلام ، وعرفوا أن الله واحد لا شريك له في الذات والصفات كما كانت عبادتهم خالصة تتمثل فى الرهبنة والاحترام والخوف والطاعة ، يؤمنون أن الله قديم أذلى خالق لا بداية له ولا نهاية ، يفنى ولا يفنى ، كل شى زائل وهو باقى ، وعرفوه باسم آتون ، وجعلوا لهذا الاسم معنيين : أحدهما ظاهر ، والآخر خفى ، كما أعطوا الاسم الظاهر معنى أنه إذا ظهر بمثإله النورانى " الشمس " سمي آمون ، وأما

الاسم الخفى فهو الذى قام به كل الوجود ، يوهب العطايا ، ويعطى ويأخذ ، وبذلك سمى " رع " ومن هنا كان اسما " آمون - رع " ·

وقد جاء فى مؤلف للعلامة " ماسبيرو " وهو أستاذ فرنسى " وكان إله المصريين الأول عالما بصيرا يدرك ولا يدرك ، موجودا بنفسه ، حيا . بنفسه ، حاكما بنفسه ، حاكما فى الأرض والسموات ، فهو أب الآباء وأم الأمهات ، لا يفنى ولا يغيب ، يملأ الدنيا وليس له شبيه ولا حد ، ، ويوجد فى كل مكان ·" . وقد وجد أيضا فى هيكل ايزيس بصان الحجر . نقش قديم يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها " أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شىء سيكون ، ومحال على من يفنى أن بزيل النقاب ، الذى ينقب به وجه من لا يفنى " .

وقد كان قدماء المصريين فى اناشيدهم يترنمون باسم إله واحد ، . وينشدون للخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى الذى خلق عينين . وهداه النجدين ووهب له أذنين ليسمع بهما اناشيد ذلك الإله الذى استطاع الإنسان أن يبصر قدرته ، معترفا بأنه مولاه ولا مولى له إلا الله وقد ورد فى بعض الاناشيد والأدعية الواردة فى كتب قدماء المصريين :

. " يامولاى وياسيدى إنك خلقتنى وصورتنى وجعلت لى عينا أبصر بها آثار قدرتك وآذانا أسمع بما أناشيد تقديسك" .

دور الكهنة وانحراف الديانة المصرية

. وبنفس الطريقة التى انحدرت بها الديانة البرهمية ، وفي نفس الطريق الذى سار فيه الكهنة البراهمة ، وبنفس الأسلوب انحرى الكهنة المصريون واتخذوا من صفات الله ثالوثا ، وكما اتخذ البراهمة الثالوث · برهما وفيشنو وسيفا اتخذ المصريون من صفات الله وهى " الوجود والحكمة والحياة " الثالوث " آتون ورع وآمون" ·

وظل المصريون يستحدثون على مر السنين أسماء وآلهة ، حتى صار الثالوث تاسوعا غير آلهة ثانوية منسوبة إلى هذا التاسوع ، وظلت الديانة المصرية تتطور وتنحرف حتى وصلت إلى عبادة النار والنجوم والكواكب وما الى ذلك من الظواهر الطببعية التى تاخ فى عرفها وكهنها المصريون ، وئعن كانت عبادة الظواهر الطبيعية حفزت عبادخا على أن يكشفوا أسرارها مما خدم العلم والعلماء ، وكشف كثيرا من الأسرار التى أصبحت فيما بعد من الركائز الثابتة والقواعد الأساسية فى علوم الفلك والجيولوجيا والرياضيات .

وإذا كان المصرى القديم قد انحرف فى عبادته ، تحت تأثير التعاليم المبتدعة ، وأهم تلك التعاليم تعدد الآلهة ، وخير دليل هو التاسوع المصرى الذى أشرنا إليه ، والتاسوع عبارة عن الثالوث الأول " آتون ورع وآمون " واشتق منه الثالوث الثانى " تيت - نوت - شو " م جاء الثالوث الآخر من التاسوع " ايزيس و أوزوريس وسيت " ثم كانت هناك آلهة ثانوية نذكر منها ثمانى هى : هاتور أأو هتريب ونيسعتثر وبوناثيت وتنجيت وتوت ومعت وبتاح ونيمون " واليك التاسوع المصرى وصفة كل إله ووظيفته .

ا - آتوم أو آتون   الإله الخفى الذى لا يظهر إلا بصفاته وهو نور الأنوار.

٢ – رع الذى تشخص فيه النور فصار عطاء وخلقا " الخلق والرزق"

٣ – آمون ظهورالقدرة المشرقة فى الشمس وهو مظهر رع الذى يوصل عطاءه إلى المخلوقات ، وفي النهاية سار تمثالا لطيبة .

٤ – نيت الأثير العام .

٥ – نون السماء بأفلاكها وكواكبها وإلهيولة العامة ٠

٦ – شو الجو أو الموجات الكهربائية الموجبة ويشتق منه الإله " تفنوت" وهى الموجات السالبة ، وعهذا يعطى نفس معنى فشنو عند البراهمة •

٧ – إيزيس بمعنى الحياة أو الروح ٠

٨ – أوزوريس بمعنى الثمار والازدئار ، وهذا الإله هو الذى سيحاسب الموتى .   ٩ – سيت المدمر أو الفناء ٠

وأما عن الآلهة الثماني الثانوية فيذكرها مع صفاتها ووظيفتها:

1- هاتور أو هتريت - إله الطبيعة ٠   ٢ - تيسع تشر- إله النظام والقوانين ٠

٣ – يوتاشيت - إله الفيض الشمسى ٠   ٤ – تحييت - إله الأطياف الانعكاسية ٠

٥ – شوت - إله العلم ف معناه العام ٠   ٦ ٠ معت - إله الحكمة .

٧ – بتاح - إله القدر ٠ ٨ – تيفون إله الشر ٠

وكانت صلاة المصريين الذين انحرفوا ، موجهة إلى التاسوع المصرى ، وكانت دعواتهم وأناشيدهم تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة ، وقد كانت تلك الصلوات تصدر منهم تقريبا للتماثيل الرمزية التى أقيمت لآتون ورع وآمون فى طيبة من أهم ظواهر الشرك والوثنية ، حيث ظن المصريون المتأخرون الذبن أعقبوا حكم الكهنة ، أن تلك التماثيل الرمزية آلهة مختلفة فعبدوها ، وتعددت اللمة وصارت المدن ملينة بتلك الآلهة ، وكانت لكل مدينة إلهتها التى تقدسها دون الآلهة الأخرى ، فقد كان موطن " أزوريس ، فى ابيدوس و " فتاح " فى منفيس و " آمون " فى طيبة ، و "وهوروس ٠ فى إدفو و " هاتور ، فى دندرة ٠ وكانت مدينة طيبة دون سائر المدن مملوءة بالمعابد والتماثيل ، حتى

قام إخناتون بثورته المشهورة لتوحيد الإله وعبادة إله واحد بعد الآلهة المتعددة ، والتى كاد أن يكتب لها النصر ، لولا قيام الكهنة فى وجهه ٠

وهكذا ظلت الديانة المصرية تتنقل من طور إلى طور آخر تنازليا ، فتطورت من عبادة إله واحد ثم عبادة آلهة ثلاثة ثم آلهة تسعة ، نم تطور التاسوع إلى ضعف عدده ثم ظل عدد الآلهة يأخذ فى الازدياد حتى بلغ ما يقرب من المائة ، بين اسم لفلك وصفة لكوكب ، وعظمة لظاهرة طبيعية ، وتقديس لطير أو حيوان ، وكثيرا ما كانت بعض المدن تعبد ملوكها على أنها آلهة ، وكانوا يقيمون لهم الصلوات ويقدمون لهم القرابين ويرفعون إليهم البخور ، وظل المصريون على حالتهم من الوثنية والشرك حتى هاجم الفرس واليونان مصر وأغاروا عليها ، فهدموا المعابد وخربوا الهياكل ، وحطموا التماثيل ، وحاريوا الكهنة أينما كانوا ، وعندما افتتح الرومان مصر هدموا بقية الهياكل وأزالوا كثيرا من المعابد ، وأبطلوا كثيرا من العبادة، وكانت الخاتمة أن أمر الامبراطور " تيودور الرومانى بإبطال الديانة المصرية القديمة، واعتبار النصرانية دينا لمصر ٠

الفصل الرابع الديانة الصينية والكنفوشيوسية

قديما قال الصينيون إن إله السماء كائن عظيم محب للخير ، ويكره الشر ويجازى الناس بأعمالهم ، كما أنهم كانوا لا يؤمنون بوجود أي قوى خبيثة فى هذا العالم ، ثم جاء طور التغيير الفكرى تحت ايحاء التخريج والتغيير ، وبمرور الأيام وتداول الأعوام ، تغيرت الأفكار فأضافوا إلى هذا الإله الواحد كثيرا من مظاهر الطبيعة ، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض ، وما عليها من جبال وتلال ، وما يجرى فيها من بحار وأنهار ثم تطورت معتقداتهم فاعتقدوا بوجود كائنات روحية تسكن البيوت ، وأن تلك الأرواح لها قدرة على النفع والضرر ، فقدموا لها القرابين ، كما كانوا يعبدون أرواح أسلافهم ، وتحول الإله العظيم الواحد إلى آلهة متعددة ٠

كنفوشيوس :

ولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد فى مقاطعة " لو " من أعمال ولاية شانتنج ، وكان منذ صباه مغرما بتقليد الكهنة فى تقديم القرابين ، وإقامة الشعائر الدينية ، ولما كبر أثر فى حياته ما شب عليه فى صغره فقد تولى أعمالا كثيرة فى الحكومة ثم عمل مدرسا ، ومن وحى التدريس وحبه للالقاء والتلقين نشأ عنده التفكر والتأمل ، وخرج على الناس بمذهبه الذى ضمنه تعاليمه وآراءه ، ووضع له الأسس والمبادئ ، التى دان لها واعتقدها وآمن بما كثير من أهل الصين ، وقد عمل على نشر مذهبه بكل ما أوتي من جهد ووسائل ، وإمكانيات ، فقد كان ينتقل من ولاية إلى ولاية يبشر بهذا المذهب. حتى مات فى سن الثالثة والسبعين.

مذهب كنفوشيوس :

وجد كنفوشيوس قومه غارقين فى بحر من الأوهام ، عاكفين على التفكير فى عالم الأرواح ، والتأمل فى ذات الإله مضيعين الوقت فى البحث عن صفات الملائكة والجند ، منقبين عن الحياة المقبلة بعد الموت ، جل همهم تقديم القرابين وإقامة الشعائر الدينية لارضاء أرواح أسلافهم ، باحثين عما يرضى قوى الطبيعة عنهم ، فالسماء لا تمطر لأن إلهها غاضب ، والكواكب لا تظهر لأنها غير راضية ، والثمس فى كسوف لأن أهل الأرض عصاه ، وبهذا انصرفوا عن الحياة انصرافا تاما ، وأصبح الشعب متكاسلا غاية التكاسل ، مما نتج عنه وقوف عجلة الحياة ، وخيم الجهل بالواجب والحق على الناس ، فكسدت التجارة وتوقفت الأعمال العامة والخاصة ، حتى أصبحت الحياة فى الصين أشبه ما تكون أشباحا بلا روح تسيرها أو تدفعها ٠فخرج عليهم كنفوشيوس بمذهبه ، فدعا إلى معرفة كل إنسان ما عليه من واجبات ، وما له من حقوق ، وبين ماهية الفرد في المجتمع ، وواجبه نحو مجتمعه وحقه في ذلك المجتمع ،
فرق بين العبادة والعمل ، وجعل لإصلاح المجتمع أسسا ، منها إصلاح الفرد هو إصلاح الأسرة ، وصلاح الأسرة هو صلاح المجتمع ، ودعا أهل الصين للعلم ، كما بث فيهم روح الفضيلة والتآخى ، والحب والطهر ، والنقاء والصبر والعزة والكرامة ، والتزود من المعرفة ٠ وكان يلقى دروسه على هيئة محاضرات كلامية ، فلم يكتب حرفا واحدا ، ولكن كان تلاميذه يجمعون ما يخرج من فيه من حكم ، وبذلك اعتبر أكبر حكماء الصين ومؤسس الديانة الصينية ، وأجمع الصينيون على عبادته وتقديس تعليمه وحكمه وأصبحت الكتب التى تركها بعد موته والتى كتبت بخط تلاميذه كتبا مقدسة ، لها من القداسة ما لأى كتب سماوية ، حتى أعتبرت فيما بعد دستورا للصين ، وهذه الكتب ثلاثة هى :
١ — مختارات كنفوشيوس ٠ ٢ - تعاليم البلغين ٠ ٣ - الاعتدال ٠

عبادة الصين وعقائدهم :

مما تقدم يتبين لنا ان الصين كانت كلها تتلخص في أن يقيموا الشعائر ويقدموا القرابين للإله الأعظم ، وأرواح اسلافهم ، وقوى الطبيعة المختلفة ، وهذا كان له أثره فى إقامة المعابد والهياكل ، فقد كانت فى الصين على هيئة هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة ، لكل معبود هيكل .
١ - مذبح الكواكب والافلاك السماوية والأرضية . وهذا تقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار ، وما إلى ذلك من قوة الطبيعة ٠
٢ - مذبح الأرواح ٠ حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم فى تلك الحياة ، وتقف معهم وقت الشدة والرخاء ، فكانوا يقدمون القرابين لها فى هذا المذبح زيادة فى إرضائها وليستهدونها فى أمورهم الحاضرة والمقبلة ، ويطلبون منحا السعادة فى حياتهم ٠
٣ - مذبح الإله الأعظم : وهو خاص بعظيم السماء ، وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها ، لا تجد حوله أصناما أو تماثيل أو دمى لأنه مذبح الإله الغير منظور ٠
ويعتقد الصينيون فى عظيم السماء ، أو الإله الغير منظور ، أنه الرب العظيم ومالك الأكوان ذو الفضل غير المتناهى ، ليس له مكان أو زمان ، موجود فى كل الوجود ، أينما توجه الإنسان فهو معه ، حاضر لا يغيب الإله الذى لا يحابي ، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل ، ويحب استعمال الرافة والرحمة ، وانه يعتنى بالأرض ، وحضوره فيها دائم وان كان غير منظور وقد سموه " ني سز" أو تى ين ثم تطورت التسمية إلى " شانج تى " ٠
وأعتقد أنه ليس بمستغرب على القارىء أن يعرف من وحى ما تقدم عن المذابح الثلانة أنه ولا بد أن يكون هناك ثالوث إلهى على غرار الثالوث الهندي " برهما - فشنو - سينا " فقد تحولت العبادة من كونها لإله السماء أو عظيم السماء الإله الغير

منظور إلى أن أصبحت لثالوث وضعه فيلسوف صينى يدعى " فوفي" ٠

الثالوث الصينى :

١- تى بن - أو الإله المجهول غير المنظور ,
٢- تشانج — أرواح الآباء والحكماء الملوك ٠
٣- نى سز - الشمس والكواكب السيارة ٠

وكان المذبحان الأول والثانى المخصصين لعبادة الأقنومين الأولين من الثالوث تقام حولها الأصنام والتماثيل التى ترمز إلى صورة الآباء والحكماء والملوك، كما كانت تقام التماثيل التى ترمز إلى قوى الطبيعة، ومن ذلك أصبح الصينيون يعبدون الأصنام ٠

ومن الصين انتقلت هذه المبادئء إلى اليابان ، حتى أصبحت العائلة المالكة فى اليابان آلهة، وأعظم الآلهة الإمبراطور.

الفصل الخامس الديانة الكلدانية

كانت ديانة الكلدانيين ديانة مستوردة من الدول المجاورة ، حبث كان الكلدانيون حلقة الاتصال بين مصر والفرس وفينيقيا واليونان ، وقد اتخذوا عن المصريين عبادة الشمس وسائر النجوم ، والكلدانيون هم معلموا الوثنية الحقيقية فى الشرق ، وقد برعوا فى علم الفلك والسحر والشعوذة ٠

آلهة الكلدانيين : .

جعل الكلدانيون لكل واحد من الكواكب السيارة صنما ، وأكبر الأصنام الذى كان يرمز إلى الشمس وهو المعتبر فى عرفهم أهم الآلهة وأكبر آصنامها ، ويمكن الاشارة إلى بعض آلهتهم :

١ — بعل أو آمون إله الشمس .

٢ - عشتروت أو إيزيس إله الجمال .

٣ - هوروس أو تموز إله الخصب والنماء ، ويقام له عيد فى شهر تموز "يوليو " من كل عام ، وهذه الآلهة هى التى حطمها إبراهيم عليه السلام ، وقصته معها معروفة ومشهورة .

الديانة الفارسية " المجوسية "

عبد الفرس أول أمرهم قوى الطبيعة ، وخصوصا ذلك المخلوق العظيم "الشمس" الذي تجلى عليهم حتى رأوه في السماء وأثبتوا له كثيرا من أوصاف الأولوهية، فقالوا إنه عالم بكل شيء ، وأنه غير محض ، وأنه أعظم الموجودات ، وأنه نورانى يشرق على العالم بنوره ، وكان له كثير من الأعوان والشركاء وهم - الصديق وهو الضوء ، وستة من الملائكة المقربين الذين يحملون العرش وآلاف من الموجودات التى تتمثل فى مظاهر الطبيعة ٠

ثم تطورت عبادتهم إلى عبادة إلهين أحدهما يسمى " مزدا " أو " أهور مزدا " وهو إله الخير العالم بكل شىء ، والإله الثانى ويسمى " أهريمان " وهو إله الشر ثم تطورت العبادة إلى مجوسية مطلقة ٠

عقاد المجوسية :

قسم المجوس أو الفرس العوامل المؤثرة فى تلك الحياة إلى قسمين هما الخير والشر ٠ فالنور عندهم رمز لإله الخير " اهور مزدا " عاش زمنا طويلا ثم ظهر " أهريمان " إله الشر ، وأن سبب وجود إله الشر أن إله الخير هو الذى طلب قوة مضادة لكى تظهر قوته فقدموا لإله الخير القرابين ، ثم تطورت العبادة من عبادة النور إلى عبادة النار ٠

الديانة اليونانية

القارىء لأشعار هومير ، وهزيود المترجمة إلى سائر اللغات الحية يخرج منها بطبيعة آلهة اليونانيين .

عقائد اليونانيين :

كان اليونانيون يؤمنون ان آلهتهم يأكلون ويشربون ويلعبون ويلهون ، ويخوضون المعارك فيغلبون ويغلبون ، ويتألمون ويفرحون ، ويحزنون ويتباغضون ويتحاسدون فيحقدون ، والويل لمن تعرض لهم أو أغضبهم فان غضبهم شديد ، ولذلك حكم على سقراط ان يشرب السم ، ومات شهيد الجهر بالحقيقة ، لأنه افشى أسرار الوحدانية وخلود الروح ، واعتبروه كافرا بالآلهة

حكماء اليونان وفلاسفتهم :

وقد ظهر فى اليونان حكماء ، لكل منهم مدرسة خاصة أودعها فلسفتة أمثال طاليس ،وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وقد ذهب هؤلاء الفلاسفة شأوا بعيدا فى استطلاع الحقيقة ، ولكنهم اختلفوا فى المشارب ، فمنهم من تأثر بعلوم الكهنة ،

ومنهم من كاد أن يجهر بالحقيقة التى كانت تلح فى الخروج إلى عالم الظهور لولا خوف الحكماء من أن يكون مصيرهم مصير سقراط ٠

الديانة الرومانية

انتقلت الديانة اليونانية إلى الرومان ، إلا أن مدارس الديانة الرومانية بنيت على الأخلاق ، وإن كان اليونانيون قد ألهوا الأخلاق والفضائل ، إلا أن الديانة الرومانية تغالت في هذا الشأن ، فقد كانت الديانة الرومانية لا تعرف إلها معينا ، ولم تعترف بوجود إله أو آلهة وإنما كان جل همهم ان يلقنوا أبناءهم الأخلاق والفضائل منذ نعومة أظفارهم ، ويمكن أن يقال أن فلسفة الديانة الرومانية وليدة الفلسفة اليونانية .

الفصل السادس الديانة الإسرائيلية

موسى هو نبى الله موسى الذى أرسله بعد أن تربى فى بيت فرعون إلى بنى إسرائيل ليخرجهم وينقذهم من ظلم فرعون وملئه ، ومجمل قصته أن أمه ألقته فى اليم ولكن الله نجاه بأن أخذته امرأة فرعون ، ثم بعد أن كبر قتل مصريا انتصارا لرجل من قومه بنى إسرائيل ، وشاع الخبر وأراد فرعون قتله ، فهرب موسى وسكن أرض مدين وتزوج ابنة شعيب بن صفوره بعد قصة استسقاء لها ولأختها ، وبعد أن فضى أجلا وخرج بأهله ظهرت له نار من شجرة تشتعل ، وخاطبه الله وأمره أن يذهب إلى فرعون وأن يخرج بنى إسرائيل من أرض مصر .

الله : تقول التوراة فى أسفارها إن موسى عندما رأى النار ظهر له ملاك ، وسأل موسى الملاك عن اسم الله ، فقال له الملاك إن اسم الله هو " يهوه " إله إسماعيل وإسحق ويعقوب ، ومن أسمائه " آهيا " و " إلوهيم " وكل هذه الأسماء، تعنى معنى وصفات " إلله - القادر الكافى" .

الوصايا العشر · وبعد أن خرج موسى بقومه ، ذهب لمناجاة ربه ، وآتاه الله الكلمات العشر ، وهى أول التوراة ، وتتلخص فيما يأتى :

١ - انا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لايكن لك آلهة أخرى أمامى ·

٢ - لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق ، ومما فى الأرض من تحت ، ومما فى الماء تحت الأرض ، ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع إحسانا إلى الآلاف من محبى وحافظى وصاياى ·

٣ - لا تنطق باسم الرب إلهك ، باطلا لأن الرب لا يبرىء، من نطق باسمه باطلا .

4 - اذكر يوم السبت- ومعنى السبت الراحة - لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما يوم السبت ففيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ٤ونزيلك الذى داخل أبوابك .
٥ - أكرم اباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض حتى يعطيك الرب إلهك أبناء بررة.
٦ - لا تقتل ٠ ٧ - لا تزن ٠ ٨- لا تسرق ٠
٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور ٠
١٠- لا تشته بنت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره .

شريعة موسى :

وقد دونت شريعة موسى الأصلية في التوراة وهي عبارة عن أسفار دونها الأحبار والكهنة بعد موسى ، فمنها من نله التحريف والتبديل والتغيير ، ومنها من ضاع أثناء التيه ، ولكنهم قسموا التوراة إلى أسفار مقدسة نسبوها إلى الله وأسفار نسبوها إلى الأحبار والعلماء ٠

الأسفار :

١ - سفر التكوين ، ويحوى الخليقة وقصص الأنبياء من آدم وخروجه •ن الجنة إلى إسحق عليه السلام وإشارة الى يعقوب ويوسف .
٢ - سفر الخروج ، ويقص التاريخ ابتداء من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشرة .
٣ - سفر اللاوين ، وهو النظام التشريعى وبه تفصيل عن تقديم الذبائح والمحرقات والقرابين ورسم الكهنة .
٢ - سفر العدد ، يحوى عدد بنى إسرائيل وانسابهم وشجرة القبائل الإسرائيلية ، كما يروى قصة التيه فى الصحراء إلى أن وصلوا إلى أرض موآب ثم أرض الميعاد .
٥ - سفر التثنية ، ويحوى كلمات موسى الآخرة وخبر وفاته ووصيته ٠

وهذه هى الأسفار الخمسة التى نسبوها إلى موسى عليه السلام ، أما باقى الأسفار فهى " يشوع والقضاة وراعوث ، وصموئيل الأول والثانى ، وأخبار الأيام الأول والثانى ، وعزرا ونحميا وأستير وأيوب والمزامير ، والأمثال والجامعة ونشيد الانشاد وأشعيا، وأرمياء، ومرائى ، أرمياء ، وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل عاموس عوبيديا ويونان وميخا ، وناحوم وحبقوق وصنفيا وحجى وزكريا وملاخى " ، وهذه الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفرا وكلها بين نشيد وترتيل ، والأسفار كلها قد بينت تاريخ ضلال بنى إسرائيل وخروجهم من شريعة موسى.

اليهودية "ب"

تغلبت المادة على الروحية عند بنى إسرائيل ، ثم مرت بهم أطوار تعرضوا فيها لنقمة الله جزاء خروجهم عن شريعته حتى انقرضوا ، وبقى قوم نسبوا إلى إسرائيل عفوا ، وهم ليسوا أصلا منهم ، بل هم قوم تهودوا ثم أصبح الدين قضايا كلامية ، وآراء فلسفية ، فتركوا الأصل وتمسكوا بالفروع وأولوها كما تشتهى أنفسهم ، واختلطوا بغيرهم من الأمم وأخذوا عنها كثيرا من العلوم والأداب ، واكتسبوا طرقا جديدة للتفكير ، وعبدوا آلهة متعددة مثل آلهة الآراميين والكلدانيين والموابيين أمثال البعل والبعليم والعشتاروت . ترتب على هذه النزعات انقسام اليهود ممثلين فى أحبارهم وعلمائهم إلى قسمين هما الغربيون الذين يقال عنهم الربانيون والصديقيوم وهم المشهورون باسم " أشكنازى " وكل من القسمين له رأى .

راى الفريسيين : تمسك الفريسيون بحفظ الشرائع والتنفيذ الحرفى للأصول وتشددوا فى التنفيذ وتمسكوا بالتقاليد ، وأخذوا فى تفسير الكتب المقدسة مأخذ السلف الصالح ، كما

إعتقدوا أن حرية اليهود وكيانهم لا يحفظ إلا بالتمسك بالشريعة ، وأن عظمتهم لا تسترد إلا بالدين .
رأى الصديقييم : واما الصديقيوم فكانوا يقولون أن الله خلق الإنسان كفئا ليتولى إدارة شئون نفسه بنفسه ، وإن من العبث انتظار إرادة الله فى حين أن الإنسان خلق مختارا ، ويجب أن يحل مشاكله بنفسه ، ولا يعرفون شريعة ولا يتمسكون بسنة ، ولا يعترفون بتقاليد أو عادات ، كما يقولون أن آثار موسى ليس فيها ما يؤيد التمسك بالشريعة ، وبذلك ينافون الحقيقة فى قولهم .
التلمود : كان من نتيجة الخلاف الدينى وتغلب المادة على الروح أن استحدث اليهود كتابا مقدسا يختلف عن التوراة سموه باسم التلمود ومعناه المفسر ، وهو مجموع كلى يطلق اليهود على بعضه " الجومارا " وتعطى معنى التام ، وأطلقوا على بعضه الآخر اسم " المثناه " أي الثانى ويتكون من ستة أسفار تعتبر قاموسا فى الزراعة والاعياد والزواج والدية والذبائح والقرابين والطهارة وقد جمع التلمود من أصلين أحدهما يسمى الأورشليمى وهو ما كتب فى أورشليم والآخر كتب فى نابلس وسمى النابلسى ، والأول أقوم من الثانى ، وظل الخلاف خفيفا وخفيا حتى آخر عهد سليمان وفى أول حكم رحبعام ابن سليمان احتدم الخلاف وانقسم اليهود إلى مملكتين هما يهوذا وإسرائيل .
الدولتان : تنتسم الدولتان إلى دولة يهوذا وهى المؤمنة من سبطى يهوذا وبنيامين ، والثانية دولة إسرائيل وهى التى تتألف من باقى أسباط بنى إسرائيل العشرة ، وظلت الدولتان تتنافران وتتقاتلان حتى قضت دولة يهوذا على دولة إسرائيل وعاشت بعدها حوالى خمسمائة سنة "١"٠
اقسام اليهود الفقهية : وكما انقسم اليهود إلى قسمين وهما الفريسيون والصديقيوم فلابد من الرجوع الي أصل التسمية، فبعض الفرق سميت بالصديقييم ، وذلك لتمسكهم بالنصوص

وتفسيرها حسب هواهم ، ومن هذه الفرقة تناسل السامريون والصديقيوم ٠
والفرقة الثانية أضافت إلى معتقدها تقاليد المشايخ لما يظن فيهم من قداسة، وتسمى " خاسويم " أي الاتقياء ، ومنها تناسل الفريسيون والأسينيون . نم انقسم اليهود إلى طوائف شتى وفرق متعددة ، ولا يزال منهم فى عصرنا هذا الربانيون، ويكونون السواد الأعظم من اليهود، وينقسمون إلى السافروديم " العرب" و " الأشكنازيم" " الأوروبيون" والربانيون يقدسون التوراة والتلمود معا باعتبار ان التلمود موحى به .

"١" انظر كتاب المؤلف " اليهود من الكتب المقدسة " ٠

كما بوجد فى عصرنا الحالى فرقة " القرائين " والقراؤون يعدون الربانيين ضالين فى معتقدهم ، وهم لا يقدسون غير التوراة ، ويفسرونها معتمدين على الأدلة الفعلية ، وباب الاجتهاد مفتوح أمام كل يهودى ، ولا يؤمن القراؤون بالتلمود إلا على سبيل أنه مجموعة من آراء المفكرين القدامى يجب الائتناس بها فى بعض الأحوال لا في الأحوال كلها .. وهكذا يمكن أن نقول ان اليهود ضلوا سواء السبيل وخرجوا عن الجادة وانحرفوا عن أهدافهم التى جذبتهم عنها أهداف أخرى ، فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم والشعوب الوثنية الهياكل لأربابها ، وقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الوثن ، نم زادوا فى الاسفاف بالتوحيد حتى جعلوا الأوثان فى بيوتهم وسموها " الطرافين " وعبدوا البعل وغيره ووضعوها فى هيكل سليمان ٠ ومع التخويف وهزيم النذير بين يدى عذاب شديد ، الذى ورد على لسان أنبيائهم المتعاقبين الذين كانوا دائما يوجهونهم إلى عبادة الإله الواحد رب الجنود ، وأنه القوى المنتقم الجبار الغضوب ، وأقوال انبيائهم تصور لنا الحال التى

صارت اليها عقيدة التوحيد والتنزيه إذا ما صارت إلى قوم امتلات قلوبهم بالمنافع والحرص على الدنيا . فقد أصبحوا لا يبغون رضوان الله خالصا لوجهه ، ولا يعبدون الله مخلصين له الدين ، لأنه لا يوجد فى نفوسهم أو عقولهم إلا المادة وما يتفرع منها ٠ الدين والشريعة فى عرف اليهود عبارة عن تشريعات رسمت للمعاملات التى يمكن بها ان يستحلوا أموال غيرهم من الناس والأمم ، وطقوس فى العبادة هى أيضا صور من شريعة المعاملات وصيغ السندات والديون والمطالبات وانتهاك الحرمات واستعباد الشعوب واستحلال المحرمات ، وفى جملتها يمكن أن يقال إن عبادة اليهود اما للإعتداء ، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب ، وبذلك تجدهم قد انحرفوا عن دينهم ، وآخر القول فيهم إنهم أصبحوا لادينيين .

الفصل السابع 2 المسيحية دين الطهر الوجداني

لما كانت الديانات اليهودية قد تركت لليهود الحبل على الغارب ، وتغلبت الماديات على عقولهم وغمرت قلوبهم ، كان لابد من دين يخاطب الضمير ويتناجى مع الوجدان ، ويناجى الروح ويتسلل إلى النفس ، فيطهرها ويمحو ما ران عليها من زيف ويزيل ما ألم بها من غشاوة ، لذا كانت المسيحية خالية من المادة إلا شذرات أوحت بها الضرورة، فقد كان جل توجيهها لفت النظر إلى السماء ، حيث لا تغنى المجسمات المحسوسة عن الغبطة بالتأمل فى ذلك الكمال الأبدي المطلق فى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى ، حيث تجد النفس فى هذا الاتجاه السعادة الكبرى والراحة التى لا يشوبها الملل أو يعيبها القلق على المستقبل ، بل يكون الإيمان بما هو آت وما مضى ٠وبهذا كان طبيعيا أن يطلب الإنسان طرق إلهداية حسب فطرته وخلقته ، التى فطر عليها ويستمع لنداء السماء : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " وتجعل تلك العبادة خالصة لوجه. الله لا يشرك بها مال ، وذلك حسب قول المسيح عليه السلام " لا يجوز لرجل ان يخدم سيدين إما ان يخدم الله أو يخدم المال " ولذا كانت المسيحية لا تدعو إلى التوحيد والتنزيه عن الشرك فحسب ، بل صورت الله سبحانه على أنه المعشوق الأسمى الذى يتجه إليه وجدان كل حى فيتلاشى من قلب الإنسان ما عمر به من طقوس وشعائر وثنية ، ويتبدل قلبه إلى عامر بحب الله الذى لا يعبد سواه وهو القادر على تحريك القلب ، فالقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يحركه كيف يشاء ٠

والمسيحبة هى النصوص التى جاء بها السيد المسيح عليه السلام ، ولا يخرج مضمونها عن ما جاء على لسانه فى القرآن الكريم : " ان اعبدوا الله ربى وربكم "لا ما ألحق بكلامه من الفوارق وسيرته من التأويل ، وبذلك تكون المسيحية هى دين الروح وخطاب القلب ، ونداء الحس ، بصرف النظر عن الفوارق

الاقليمية والدولية ، جاءت خالية من المراسم والطقوس ومن علائق التجسيم والمادة التى تولد الرين على القلوب " ٠

الله :

دعا المسيح عليه السلام إلى توحيد وتنزيه الله عن الشرك أو المشاركة مثله فى ذلك مثل باقى إخوانه من الأنبياء والرسل، وقد تبرأ من الذين قالوا عنه انه الله أو ابن الله ، وكان قوله لربه " ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم " خبر حاسم للنزاع ، وإن كان المتشدقون يتخذون من كلمة النبوة التى وردت مجازا فى بعض المواقف على أنه ابن الله ، فقد اخطأوا حيث أن الكلمة كانت ترمز إلى جميع عباد الله المخلصين الذين آمنوا بوحدانية ربهم أنهم أبناء الله ، وذلك حسبما جاء فى أمر المسيح القائل لهم يجب أن تصلوا هكذا : " أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ولتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، اغفر لنا ذنوبنا . ٠ ٠ وفى هذا المقام يستطيع ان يقف كل مسيحى مؤمن ويناجى أباه الذى فى السماء أي ربه القدوس اسمه والمنفذ لمشيئته فى الأرض والسماء " غافر الذنب قابل التوب ، شديد العقاب , ويتضح لنا جليا أن المسيح لم يكن إلها أو لم يدع يوما ما أنه إله ، وذلك من مناقشته لأحد الفريسيين ، عندما قال الفريسى : " أيها المعلم الصالح " ، وهنا استدار المسيح إليه شبه مستنكر ، وفى الوقت نفسه معلم مرشد : " كيف تدعونى صالحا و ليس أحد صالحا إلا الله " ومن هذه النقطة تفهم ان الفريسى جاء يستدرج المسيح لأنه سمع من تلاميذه الذين يقولون عن المسيح انه الله ، فكان رده على المسيح عليه السلام مظهرا لما يبطنه : " نعم يا معلم ليس أحد صالحا إلا الله " وانتهت المناقثة بتأمين المسيح على كلام الفريسي حين قال له : " إنك لست بعيدا عن ملكوت السموات " ٠

العقيدة المسيحية الحقة ٠ ان العقيدة فى الدين بشر به السيد المسيح تتجلى واضحة كل الوضوح فيما جاء فى إنجيل يوحنا : "

الله لم يره أحد قط " وتأكيد العقيدة التى جاءت بها المسيحية تعلم المؤمنين ان من يؤمن بربه فهو حى . ومن لم يؤمن أو يشرك بربه احدا فهو ميت ، لقول المسيح عليه السلام للمؤمن الذى جاء يستأذنه فى دفن أبيه الذى مات على غير الإيمان : " دع الموتى يدفنون موتاهم " ، وقد كان المسيح لا يقيم للجسد وزنا إلا بقدر بسيط على اعتبار انه وعاء الروح ، فقد كان يعلم تلاميذه قائلا لهم : " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، بل الحرى ان تخافوا من الذين يقتلون الروح " ، وكان فى تعليمه يقلل من شأن الدنيا وما حوت ، ويفضل الآخرة التى هى خير وأبقى حيث يقول : " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العلم كله وخسر نفسه " .

المسيحية بعد المسيح "ب"

انحراف المسيحية : بعد وفاة المسيح عليه السلام بحوالى سبعين سنة ، و هو تاريخ كتابة أول الأناجيل الأربعة " مرقص " انبثقت عدة آراء خالف بعضها البعض ، وكان محور الخلاف شخصية المسيح عليه السلام وما حول تلك الشخصية من السمو الروحى والسحر السماوى الإلهى الأخاذ والنور الملكوتى الباهر .

فرأى يناقش شخصية المسيح على أساس طبيعة واحدة بمشيئتين ، ورأى يناقش تلك الشخصية على أن المسيح طبيعة واحدة بمشيئة واحدة ، ورأى ثالث يناقش شخصية المسيح على إنها طبيعتان ومشيئتان ، من تلك الآراء المتباينة ظهرت فى عالم المسيحبة طوائف متباينة الآراء ، كل طائفة آمنت برأى من الآراء الثلاثة .

والطوائف الثلائة تزعم قيادتها ثلاثة من الكهنة قاد كل منهم طائفة آمنت برأيه فأول الكهنة آريوس ، وسميت طائفته بالآريوسيون ، والثانى هو نسطور وسميت طائفته

بالنسطوريين ، والثالث وهو يعقوب الإسحاقى وسمى أتباعه باليعاقبة اواليعقوبيين ، ولكن تلك الطوائف الثلاثة أصبحت فيما بعد طائفتين لانقراض الطائفة الثالثة وذوبانها فى الطائفتين الجديدتان هما طائفتى الأرثوذكى والكاثوليك اللذين لا يزالان فى وقتنا الحاضر، وإشارة واجبة أنه لم يظهر فى ذلك الحين البروتستانت ، حيث أن البروتستانت لم يظهروا إلا فى عام ١٥٢٩ ميلادية على يد زعيم المحتجين " مارتن لوثر "وقد كان الخلاف فى بادىء الأمر خلافا فى الرأي ثم تحول فيما بعد إلى خلاف طائفى مقيت تعدى حدود الجدل المألوف إلى نصب حبائل المكيدة التى تدبرها كل طائفة للأخرى ، ويمكن تفصيل الآراء المختلفة فيما يأتى حتى نزيد القارىء وضوحا :

أسباب الخلاف :

١ - لا يعترف آريوس بلاهوت المسيح حيث يقول إنه مخلوق ليس مولودا من الأب وبذلك فإنه لا يساوى الأب فى الجوهر، وأن البنوة مجازية لا يصح أن تنسب بنوته للإله ، لأن هذا يخالف العقل والمنطق .

٢ - ويقول نسطور : إن المسيح إبن الله له أقنومان ، والأقنومان هما عبارة عن النور المنبثق ، وإن أحد الأقنومين إلهى والآخر بشرى ، فهو بالأول ابن الله والثانى ابن مريم .

٣ - ويقول يعقوب الاسحاقى ومعه أتباعه من اليعاقبة إن المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وكل من الطبيعة والمشيئة إلهى ، ولذلك فهو الله الأب ضابط الكل خالق السموات والأرض .

ومن هنا نشأت الخلافات المذهبية فى تكتل يشبه الحزبية ، وتفرعت عن ذلك العقائد ، واختلفت النظم ، وتعددت الطرق فى إقامة الشعائر الدينية وكثرت الطقوس والرموز ، وتغالى البعض فى الرأي لدرجة التعصب ، وتعددت الطرق فى إقامة الشعائر الدينية ، وتساهل البعض في تعاليمه رغبة فى كثرة الأتباع ثم انقسست المسيحية في العالم شرقية وغربية إلى

طائفتين كبيرتين ثم إلى ثلاثة طوائف كبرى ثم تفرغ من الطوائف حوالى سبعين طائفة منتشرون فى العالم ، وإن قسموا حدوده فالأرثوذكسية اتخذت لها من الشرق ركيزة ، والكاثوليكية تأصلت فى الغرب ، حيث خرجت البروتستانتية ، وإنى لا اغفل هنا الإشارة إلى أن مصر وخصوصا فى الوجه القبلى استأثرت بالسبعين طائفة التى تفرعت عن الطوائف الكبرى .

تعريف الطوائف :

١ - الأرثوذكسية — ومعناها الصراط المستقيم أو الكنية القديمة .

٢ - الكاثوليكية — ومعناها المنشقون ٠

ومن أثر هذا النظام الطائفى ، وجد النظام الكنائسى ، وتفرع إلى ثلاث نظم فى تأدية الشعائر الدينية ، والنظم النلاثة هى :

١ - نظام الاكليروس ، ويبدأ من البطريرك الذى يليه فى الرتبة المطارنة ، ثم الأساقفة ، القسوس أصحاب الامتياز ، ويسمون بالقمامصة ، والقسوس ذوى المرتبة البسيطة ، ويطلق عليهم اسم القساوسة فقط .

ويشترك فى كل مرتبة من هذه المراتب شروط خاصة لا مجال لتفصيلها ، وهؤلاء جميعا أصحاب الرأي والكلمة فى كل ما يدور حول الكنية ، وتلك هى الطائفة الأرثوذكسية .

٢ - النظام البابوى ، وذلك يرأسه البابا والكرادلة ، وهم أصحاب الحق الأول والأخير فى تنظيم الكنيسة ، حيث يتكون منهم المجمع الكنائسى الذى يصدر أرادات بابوية سامية ، هى أرادات إلهية ، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، وتلك الأرادات لا تقبل الجدل أو المناقشة ٠

٣ - نظام ديمقراطى ، وهذا النظام الذى اتخذه البروتستانت فيما بعد ، ويسمى بالنظام الشعائرى المستقل ذاتيا وتعاونيا ، يتعاون أعضاؤه على القيادة والوعظ فقط ٠

عقائد المسيحيين :

يقول المطران ثاوفيلس المرقصى فى مخطوطه " بستان الأزهار فى تفسير الشعار " "١" انه بعد وفاة المسيح بحوالى سبعين سنة عندما بدأ مرقص الرسول فى كتابة إنجيله ، بدأ معه الخلاف فى الرأي ، ثم تطور الخلاف حتى بلغ اشده سنة ٣٢٥ ميلادية ، عندما اجتمع مجمع ضم جميع طوائف المسيحية فى الشرق والغرب ، واتفق الجميع بعد المدارسة والمناتثة على الخطوط الرئيسية للمميحية من ناحية العقائدوالكتب المقدسة ، واتغقوا على المبادئ الآتية :

"١" هذا المخطوط محفوظ بمكتبة الدير المحرق تحت رقم 103 من مؤلفات الآباء المرقصيين المتنيحين ، ومكتوب باللغة القبطية وكل صحيفة أمامها صحيفة ترجمتها بالغة العربية الدارجة بخط المؤلف ٠

١ — الاعتراف بالثالوث الأب والابن والروح القدس شعارا للمسيحية ٠
٢ — يؤمن الكل بأن المسيح جاء لتخليص العالم من خطيئة آدم الموروثة .
٣ — المعمودية سواء برش الماء أو غمر جزء كبير من الجسم فيه بعد صلاة الكاهن على ذلك الماء ، ركن من أركان المسيحية الأساسية ، وذلك نسبة إلى تعمد المسيح على يد يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " فى بحر الشريعة " نهر الأردن " .
٤ - المناولة ، وهى أكل القرابين رمز لجسد المسيح ، وشرب الخمر المعتقة إشارة إلى دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب ، وذلك اعتراف من المجتمعين بصلب السيد المسيح .
كما أجمع المجتمعون على الاعتراف بالكتب المقدسة التى يضمها الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث وما استقر عليه الرأي والرسالات المعترف بها ، وفى جملتها الكتب الآتية :

ا - " أسفار اليهود " العهد القديم ، أي التوراة ، من ضمن الكتب المعترف بها وتعتبر نص الكتاب المقدس عند المسيحيين .
٢ - العهد الجديد ، ويضم الأناجيل الأربعة ، وهى متى - مرقص - لوقا - يوحنا ، وهى عبارة عن تاريخ المسيح ومعجزاته ·
٣ - أعمال الرسل ، وهى نبذ تحوى مجهود الرسل " تلاميذ المسيح " فى التبشير والدعوة .
٤ — الرسائل عبارة عن خطب وعظات القاها تلاميذ المسيح فى الأمم المختلفة داعين أهلها للمسيحية ، وتعتبر تلك الرسائل أساس علم اللاهوت ·
٥ — رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وهى عبارة عن رؤياه التى تحوى تنبؤاته ·
اما البروتستانت الذين سبق الإشارة إليهم فقد جاءوا برأى يطابق رأى آريوس الذى يقول إن الجوهرين لا يتساويان ، وقد قامت قومة البروتستانت على أساس الدعاية إلى وجوب التقيد بما تحويه الكتب السماوية الرئيسية ، ويرجع وقت قيام البروتستانت إلى عام ١٥٢٩ الذى رفضوا فيه تنفيذ أوامر الإرادة البابوية ، وقد اهتموا بالميادئ، الأخلاقية من المسيحية قائلين : إن الدين ليس فى مجرد الطقوس ، وإنما هو فى الأخلاق التى هى ثمرة الدين المسيحى الحقيقية ·
ولم يعترفوا لا بالمعمودية ولا بالمناولة ولا بالاعتراف ، وإن كانوا يعترفون بصلب السيد المسيح ، كما يعترف جميع الطوائف أن السيد المسيح تأنس وتجسد فى بطن مريم العذراء ، ثم جاء يدعو وختام الدعوة أنه صلب على خشبة الصليب ليخلص دمه المسفوك العالم من خطيئة آدم عليه السلام .
ويمكن أن نختم هذا الموضوع معترفين أن المسيحية فى أصولها دين روحى سماوى جاء به المسيح من عند الله كما يقول الله تعالى فى القرآن الكريم " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه " ولكن

الكهنة فى كل زمان ومكان كانوا يحتكرون الأسرار لانفسهم ، تلك الأسرار التى لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه ، وإنه ليمنعنى من الدخول فى أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتى الوقت الذى نفضح فيه عن كل شىء ٠

ونعود لقولنا بأن رجال الكهنوت قد احتفظوا بكثير من الأسرار ، وأباحوا الرموز للشعب ، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية وقد فصلنا ذلك فى الفصول السابقة ٠

وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة عندما وجه القول إلى الفريسيين والصدوقيين من اليهود قائلا لهم : لا تضعوا المصباح تحت المكيال " وقد عنى المسيح بالمكيال الرموز والطقوس ، كما عنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس .

الفصل الثامن الإسلام

لما كان كل شىء له أساس يقاس عليه مدى أهميته ، كذلك المبادئ مهما كانت فقد وضعت على أسس بصرف النظر عن قيمة تلك الأسس سواء كانت ثابتة القواعد أو منهارة الأركان ، وكان لواضعى المبادئء والنظم والقوانين أهداف بنيت على تلك الأسس متخذين من الوسائل مطايا وإمكانيات لتوصيلهم إلى تلك الأهداف ٠
ولما كان خلق الإنسان على أساس : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون " ، كانت العقائد الإسلامية تقوم على أسس وأركان وقواعد بنيت على أساس واحد هو التوحيد ، وكانت الركائز الخمس هى منبع الخطوط العريضة التى بدأت بتعليم الناشئ، دروسا تتفق والفطرة التى فطر الله عليها ذلك الناشىء ٠
ومن هنا تكون بداية الانطلاق فى التبحر ، وقد آثرت ان أبدا الكتابة من حيث يبدأ ناشىء الفطرة ، وذلك لن يتأتى إلا بشرح موجز للأركان ، وذلك لكى يكون هذا الشرح فتحا للطريق وبداية للانطلاق وتهيئة للمصير.
ولما كانت قواعد الإسلام الخمس فى أدائها غاية ، وفى تأديتها هدف لمن يؤديها ، فالغاية منها الوصول إلى الله والهدف منها ان يكون المؤدى عبدا مطيعا متعبدا حائزا لرضا ربه ، فكان لا بد من البدء فى عقيدة الإسلام أن يبحث فى الألوهية والربوبية ، وهذا هو الهدف الأسمى .

الله .

لم يدع القرآنش من ريب أو شك فى مسالة الوحدانية الإلهية، فقد علم المسلمين التوحيد الخالص الذى قضى على تيارات التعدد والشرك ، بل ذكر لله صفات دلت على قدرته ووحدانيته ، وإنه ليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السماء ، لم يكن الله والدا لولد ولا مولودا لوالد أو والدة " قالوا اتخذ الله ولدا

سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض " سورة يونس آية ٦٨ . " وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا " سورة مريم آية ٩٣ ، ٩٤ " قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن كفوا أحد " سورة الإخلاص ٠ واحد صمدى أزلي ، رب العالمين ، رب الناس ملك الناس إله الناس رب الفلق، رب البيت، رب المغفرة ، يدخل من كتبت لهم السعادة فى دين الله أفواجا ، وإذا ما دخلوا وتمسكوا وآمنوا بدين الله الحى القيوم سبحوا بحمد ربهم واستغروه إنه كان توابا ، فاطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، وتولدت فيهم العقيدة الصحيحة ، ورسخ عندهم الإيمان أن الله : " يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور " سورة غافر آية ١٩

" عليم بذات الصدور " سورة فاطر آية ٣٨

" وما كنا عن الخلق غافلين " سورة المؤمنين آية ١٧

" وسع ربنا كل شىء علما " سورة الأعراف آية ٨٩

ومن صفاته : " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم " سورة الحديد آية 3

"الحي الذي لا يموت" سورة الفرقان آية 58

"وهو الذي يحيي ويميت" سورة المؤمنين آية 80

"كل شيء هالك إلا وجهه" سورة القصص آية 88

" لا يعزب عنه مثقال ذرة " سورة سبأ آية 3

" وهو بكل خلق عليم " سورة يس آية ٧9

" ألا له الخلق والأمر " سورة الأعراف آية ٥٤

ومع اعتقاد المسلم فى صفات افي عز وجل ، فانه لا يمكن أن يؤمن أبدا أو يتسرب إليه مجرد التفكير ، أن تلك الصفات تعدد يشبه التعدد فى الثالوث البرهمى أو الثالوث البوذى أو الثالوث الصينى أو التاسوع المصرى القديم أو الثالوث المسيحى أو الغنائى الذى يقول : هناك إله للظلام أو إله للنور، أوكما يقول القائلون إن هناك إلهين أحدهما إله الخير والآخر رب الشر ،

إنما يؤمنون إيمانا جازما أن تلك الصفات لرب واحد بعيد عن النقائص التى لا تجوز فى خلق الإله . والمسلمون جميعا لا فرق بين طائفة وأخرى يؤمنون ان الصفات إن دلت إنما تدل على أنه القادر على كل شىء ، الخبير العليم الرزاق ذو القوة المتين ، المنفرد بالوحدانية الفعال لما يريد ، الودود ذو العرش المجيد ، الرحمن الرحيم الكامل المنزه ، من قدرته الخلق والحياة والموت والإرادة والعطاء والمنح والمغفرة والهداية ، لا شريك له ولا مثيل .

وبتلك العقائد انتشل الإسلام البشرية من عناصر الشرك والجهالة حيث ترك لمعتنقيه حرية العقيدة عن إيمان لا تشوبه شائبة ، وأفسح أمامهم المجال للتفكير والتأمل والتطلع ، وبذلك تخلصت العقيدة من كل شائبة فأصبحت صافية نقية كالمرأة .

وعلى أساس تلك العقيدة وهذا الإعتقاد ، كانت أركان الإسلام الخمس هادفة إلى التوحيد ، راسمة الخطوط العريضة التى تمكن المسلمين من شق طريقهم فى الحياة جامعين بين أيديهم مطالب الدنيا والآخرة ، واليك الأركان الخمس فى شرح موجز يدل على ما هدف البه الإسلام مكنونا فى عقائده ٠

الشهادتان ٠

هما لب العقيدة ظاهرا وباطنا ، جهرا وسرا ، أولا هما شهادة أن لا إله إلا الله ، شهادة بالوحدانية المطلقة بغير حدود واعتراف من أن لا إله إلا الله الملك القدوس المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه وتعالى عما يشركون، شهادة تخرج عن إيمان صادق يجزم جزما تاما وحقيقيا يقضى على عقابيل التعدد فى كنه الإله حتى لا ينزلق العبد إلى التجسيم الذى طالما وقع قيه غيره قبل الإسلام وبعد كل دعوة للتوحيد بسبب تغلب الكهنة والقادة على فطرة البشر.

وهذه الشهادة حوت بجانب ما حوته من توحيد الله اعترافا بأنه لا عظمة لإنسان على أخيه الإنسان ولا كبرياء لمخلوق على

مخلوق، تطبيقا لما رواه النبى عن ربه، حيث قال سبحانه فى حديث قدسي : " العظمة ردائى والكبرياء إزارى، من نازعنى فيهما قهرته ولا أبالى"، ولا فضل لعبد على عبد، إنما الكل عباد الله أمام ربهم سواسية كأسنان المشط ، وإن عظمة الإنسان تتجلى فى عبادته الخالصة ومدى طاعته لربه، ولهؤلاء العظماء من بنى الإنسان أمثال ذكرها الله فى القرآن الكريم مانحا إياهم صفات العظمة، فقد ورد فى حقهم انهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض متجهين إلى الله مناجين صاحب العزة والجبروت :" سبحانك ما خلقت هذا باطلا" . أولئك أولوا الألباب الذين إذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، يبيتون لربهم سجدا وقياما، آمنوا بربهم وتحروا فى إيمانهم رشدا، أولئك هم المؤمنون حقا، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

اما الشهادة الثانية بأن محمدا رسول الله، واعتراف منهم بمقدار النبى الذى بعثه الله للناس كافة فأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما، فقد قاد عباد الأصنام، وتجار النساء ووآد البنات ومحترفى الحروب والمنازعات والسجد لالات والعزى وهبل إلى مواطن العبادة الصحيحة وأوصلهم إلى مراتب الإنسانية الكريمة، وبذلك أصبحوا داعين لربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه لا تعدو أعينهم عن أمر الله يريدون زينة الحياة الدنيا ، بعد أن كانت قلوبهم فى غفلة ، وكانوا تبعا لهواهم فكان أمرهم فرطا .

وهذه الشهادة وهذا الاعتراف لا ينسى المؤمنين بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، أن ذلك الرسول إن وجبت طاعته فلا تجب عبادته ، وأن محمدا بشر تجرى عليه سنة الحياة والموت ، كما تجرى على أى إنسان، وأن خير ما يقال ويستدل به فى هذا المقام قول أبي بكر الصديق، وهو أول من آمن بمحمد عليه

الصلاة والسلام ، فقد خاطب الناس وهم فى هلعهم عند سماعهم خبر موت النبى صلاة الله وسلامه عليه : " أيها الناس من يعبد الله فالله حى لا يموت ، ومن يعبد محمدا فمحمدا قد مات " ٠
وكل شهادة المسلم لمحمد عليه الصلاة والسلام لا تتعدى أنه نبى ورسول ولا تعدو ان يكون ذلك النبى مرسل من الله فبلغ الرسالة ومؤتمن من ربه فأدى الأمانة وترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وذلك بناء على وحى الله لنبيه ، وقد ورد فى القرآن قول الله آمرا ذلك النبى " قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلى ٠٠٠" سورة الكهف آية ١٠١ .
" فان اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك إلا البلاغ " سورة الشورى آية 49 " قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين " سورة النور آية ٥٤
" وما أنت عليهم بجبار " سورة ق آية ٤٥
" لست عليهم بمصيطر " سورة الغاشية . آية ٢٣
" وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " سورة سبأ . آية ٢٨
"قل يا أيها الناس. إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض " ٠ سورة الأعراف آية ١٥٨
وليس معنى ما تقدم ان المسلم يؤمن بنبوة محمد وحده ، إنما فرض على المسلم ان يؤمن بجميع الرسالات وجميع الأنبياء والرسل من يوم أن خلق الله آدم إلى يوم ان بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام ، ورسالة محمد تحتم الإيمان بجميع الرسالات التى سبقته ، وإن دينه كان متمما لتلك الرسالات ٠
" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " سورة البقرة آية ٢٨٥ ٠

" قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " سورة البقرة آية ١٣٦ .
وخلاصة الشهادتين أن الله منفرد بالوحدانية والصمدية والأزلية ، فلا ثلاثى ولا ثنائى ، بل لم يكن له كفوا أحد ، وأن محمدا لم يكن إلها أو ابنا لله أو أقنوما من أقانيم ثلاثة أو تسعة ، بل نبيا ورسولا إلى قومه يدعوعم إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأن رسالته متممة للرسالات السماوية " لئلا بكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " سورة النساء آية ١٦٥

اقام الصلاة :

" إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا " يصلى العبد حيث وأينما أدركه وقت الصلاة ، لا حاجة به إلى امامة أو كهانة أو وساطة ، وفى الصلاة صلة روحية بين العبد وربه ، يقف بين يدى ربه مستفتحا صلاته بتكبيرة الاحرام ، واعترافا منه بأن الله أكبر من كل شىء ، رحمن رحيم ، مالك يوم الدين إياه وحده يعبد وبه يستعين على الشدائد ، ويعوذ به من غضبه ، ويطلب منه إلهداية إلى الصراط السوى المستقيم ، وأن يناى به عن صراط الذين غضب عليهم فضلوا سواء السبيل ، ثم يقرا ما تيسر من القرآن متدبرا المعانى سابحا بلبه مع ما حوت الآيات من أوامر ونواهى ، ثم يفارق الدنيا إلى ما لا وقت ويطير من الأرض فيحلق مع روحانية القرآن فى جو ملكوتى نورانى ، فيستيقظ ضميره وتتطهر روحه مما ألم بها من مشاغل الدنيا ورجس الحياة ٠
وإذا ذهب إلى المسجد فى صلاة الجماعة ، فالإمامة للاصلح باختيار جماعة المأمومين للإمام بحيث لا ترتفع درجة الإمام فى الصلاة إلى درجة أعلى من درجة النبى الذى ورد فى حقه : إن هو إلا بشير ونذير ، وليس عليهم بمصيطر ٠

ولكن الطاعة للإمام واجبة ، فالسجود حيث يسجد والركوع أنى ركع ، والقيام إذا قام ، وهذه الطاعة وهذا النظام وذلك التواضع الذى يوجب على الأمير أن يصلى مأموما لمن هو دونه فى المرتبة ، لا يمنع من رد الامام إذا حاد أو خرج عن المشروع الذى أمر الله به.

وإن الصلاة فى الإسلام تتطلب من المسلم ان يتخلص من كل ما يتعلق بالحياة الدنيا وقت الصلاة ، وأن يتجه إلى ربه بكليته فى خشوع وخضوع الفقير المحتاج إلى الله الغنى الحميد ، وفى هذا المقام ورد عن السلف أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى مسلما يحك أعضائه فقال :والله لو خشع قلب الرجل لخشعت أعضاؤه .

وبجانب هذه الرياضة الروحية فللصلاة فوائد تتجلى فى الرياضة البدنية التى تعود على البدن بالصحة والنشاط والقوة إن أديت بركوع وسجود وقيام حسب أمرها ، وعبادة الإسلام تجمع بين رياضة الروح ورياضة الجسد والعقل السليم فى الجسم السليم . فالإسلام عبادة وقيادة وروحانية وعمل .

ايتاء الزكاة :

الزكاة فى فرائض الإسلام منبه للفرد بحصة الجماعة فى ماله ، والمذكر له بأن عليه واجبات تقابل حقوقه على تلك الجماعة ، حتى يشعر أنه ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط ، لأن من حق الجماعة على الفرد أن يعمل له ولغيره ، وما الزكاة إلا تجربة واختبارا له فيما تهواه نفسه من مل ومتاع . وقد جعل الإسلام دفع الزكاة فريضة على الغنى يدفعها من ماله عن رغبة للفقير والسائل الذى له حق معلوم فى مال ذلك الغنى ، وإن هذا الحق المعلوم للسائل والمحروم لهو صدقة تطهر مال الغنى وتزكيه، " كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة " ، وعلى قدر العطاء ومقدار ما شمل به هذا العطاء من راحة نفسية وما انطوت عليه النية فى توجيهه يضاعف الله لمن يشاء ٠ وبهذه الروح تسود المحبة بين المجتمع غنيه

وفقيره ، فلا ضريبة تؤخذ قسرا من الغنى ، ولا حقدا ولا حسدا من الفقير ، إنما المؤمنون اخوة كلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، مثلهم فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء، بالحمى والسهر ، وبذلك يكون المجتمع الإسلامي مجتمعا سعيدا تلاشت منه كل اسباب الفقر والحاجة ، مما يدفع عجلة الانتاج إلى الأمام .
وقد جعل الإسلام الزكاة من أهم أركانه وقرنها دائما بالإيمان بالله وبالصلاة ، وذلك لأهميتها العظمى التى تتجلى فى التوازن الإقتصادى وتقليل الفروق بين الناس وتقريب الطبقات ، وقد بلغ من اهتمام الإسلام بأمرها حدا بعيدا يظهر واضحا فى قول أبي بكر الصديق عندما امتنع الناس عن دفعها بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم : " والله لو منعونى عقال بعير كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم عليه حتى يؤدوه " ٠ وبهذه الروح كانت الزكاة عقيدة من عقائد الإسلام وركنا من أركانه الخمس .

صوم رمضان :

لم يقصد بالصوم فى الإسلام الامتناع عن الطعام لمجرد الجوع والعطش ، إنما كان للصيام أهداف سامية ، وتلك الأهداف ذات شقين ، أحدهما روحى وهذا له فائدتان إحداهما تعود على الانسان نفسه والأخرى تعود على المجتمع ، والشق الآخر دنيوى أخروى يعود على صحة الصائم بالقوة والنشاط ٠
فالفائدة الأولى من الشق الأول هى تنقية الصائم من الشوائب التى شابتها فبجانب حرمانه من ملذات الحياة التى تعود عليها ردحا من النهار تجده طول يومه يسبح ربه ويستغفره ممتنعا عن بذىء العمل وفاحش القول، متخذا مما روي فى حق الصوم أن كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لله درسا يهديه إلى طريق ربه ، ويجد فى القصص القرآنى خير معين على تربية نفسه تربية صحيحة على الصبر والاعتصام بأسوار العزيمة

والبعد عن اللغو " إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا " "قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا " .
والفائدة الثانية تكون أثرا من آثار الحرمان فيذكر المحروم وتأخذه الشفقة ويعطيه مما افاء الله عليه ، وبذلك يكون الصيام وسيلة من وسائل الرحمة لهؤلاء الجياع والمحرومين ، ولذا كان تتويج شهر رمضان بزكاة الفطر حكمة من الحكم التى أوحى بها الصيام ، فقد أراد الله بها مشاركة الفقير للغنى فى عيده وفرحته وسروره ٠
أما الشق الثانى فمتفق تماما مع الطب الذى يأمر بعض من اتخمهم كثرة الطعام " بالرجيم " وهو الامتناع عن أنواع معينة من الطعام ، وأحيانا الامتناع عن الطعام كله مدة طويلة ، وقد سبق الإسلام الطلب فى هذا المقام ، وذلك أنه عندما أرسل المقوقس عظيم القبط طبيبا ضمن هدايا أرسلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتقبلها جميعا إلا الطبيب فقد رده قائلا صلوات الله عليه ما معناه : لا حاجة لنا به لأننا قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع . إذن فالصيام صحة للبدن حيث تستريح المعدة راحة تامة ، مما اتخمت به الطعام أحد عشر شهرا ، ولهذا قيل عن الصيام انه تأديب بالجوع ، وحرمان مشروع فيه لذة خضوع وخشوع ٠

الحج :

شرع الحج فى الإسلام على أسس سامية ، ولأهداف عليا ، فلو رجعنا إلى التاريخ القديم نجد أن الله أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن يبنى البيت العتيق فى المكان الذى أسكن فيه ذريته : " واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " سورة البقرة آية ١٢٥ ٠
وهذا الأمر كان بناء على دعوة دعاها إبراهيم عليه السلام : " إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم

اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم " سورة البقرة الآيات ١٢٦ ، ١٢٩

اذن فالحج صلة روحية بين شجرة الأنبياء ، وجنة الرسالات ، وهمزة الوصل بين ملة إبراهيم وملة محمد كل منهما حنيفا من المسلمين ، فكان الحج تكريما من الله لإبراهيم الذى قال فى حقه : " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " سورة آل عمران آية ٦٧ ولكى يبلغ التكريم مداه فقد استجاب الله دعاء إبراهيم " ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " سورة إبراهيم آية ٣٧ ٠

فشرع الحج وذلك وعد من الله الذى كفل أن يجعل أفئدة من النأس تهوى إلى مكان ذرية إبراهيم حيث أمره " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " سورة الحج آية ٢٧ .

فالمسلمون يأتون من كل فج عميق يكونون مؤتمرا إسلاميا كبيرا يتبادلون فيه الرأي ، ويتذاكرون أحوإلهم ويتابعون الخطط التى تعود على الأمة الإسلامية جمعاء باليمن والبركات ، فتتمثل فى الحج الأخوة الإنسانية على بعد الأديار وتنائى الأقطار واختلاف الشعوب والأجناس فيلتقى المسلمون فى المكان التى صدرت منه الدعوة فتزول الفوارق والأحقاد ، ويحل محلها الحب والوئام ، كأن يضحى بذاته فى سبيل المجموع ، لأنه جاء إلى المكان الذى ضحى فيه إبراهيم بابنه إسماعيل وتله للجبين لولا رحمة الله الذى لا يرضى أن يسفك دم البشر سواء كان على

الصليب أو بالسكين ، وخصوصا من استسلم لابيه طاعة لربه قائلا " افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين " سورة الصافات آية ١٠٢ .

وبهذا ولهذا كانت الأركان الخمس هى عقائد المسلمين التى بنيت على التوحيد الخالص مع الإخاء بين البشر والمساواة بين الخلق ، ونظمت حياتهم فى الدنيا والآخرة ٠

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض " سورة القصص . آية٧٧

الفصل التاسع ميزان العقائد والأديان

مما تقدم يمكن للقارى أن يوازى بين العقائد فى جميع الأديان ، وفى هذا التوازن ومن المقارنة يستطيع أن يدرك أن العقيدة الإسلامية. جمعت بين حياة المسلم فى دار ممره ودار مقره ، وإن ما يفخر به المسلم أنه حر عقيدته التى بنيت على التفكير المطلق والتأمل الحر والبحث عن الحقائق بدون خضوع للهيكل وطقوسه ، أو خشوع للصنم وقرابينه ، أو وقوف أمام المذبح ومحرقاته ، فلم يكن دينه تفضلا من كاهن يمن عليه به ، أو سجوده لايقونة أو ركوعه لوثنه ، كما لم تكن عبادته وقفا على شعائر أو مراسيم داخل المعبد مدى حياته . وقد كانت الأديان قبل الإسلام عبارة عن كهانة وطقوس ومراسم ورموز كلها تشير إلى الوثنية بكل معانيها ، كما كانت تأخذ بيد صاحبها إلى تعدد الآلهة وتعدد الكهنة وتعدد الشعائر مما انتهى بأهل الأديان إلى حالة يرثى لها من الجمود الذى أرغمهم وتغلب على فطرتهم حتى تخلوا عن التفكير السليم فعظموا الصور والتماثيل وربطوا كل تصرفاتهم التعبدية بالمعبد والكاهن ، فلم يكن لهم أن يبرموا أمرا من أمور الدين دون أن يكون إلهيكل وكاهنه صاحبى الأمر والشورى والكلمة الاخرة فى هذا الرأي ، حتى أصبح المتعبد وكأن المعبد لازمه من لوازم حياته العقائدية ، حيث لا تتم له عبادة ولا يستقيم له أمر ، ولا يصح له وصل ، ولا يملك شفاعة عند الآلهة ولا تستجاب له دعوة دون الكاهن ٠ وقد اتخذ الكهنة من عقيدة الناس وسذاجتهم طريقا للتجارة بالأديان ، وأنشأوا القاعدة القديمة المشهورة التى جعلت الكاهن نائبا لله والملك ظل إله فى أرضه ، بل أللهو الكهنة انفسهم تاليها تاما وطالبوا شعوبهم بعبادتهم ، ففى البداية كان الإله واحدا ثم الإله ممثلا فى قوى الطبيعة ومظاهرها، ثم حل الإله فى الكهنة والملوك أحياء وأموات . فمن الأديان السابقة يمكنك أن ترى الهنود مثلا وقد إعتقدوا أن

الإله الذى يرى نحت اسم ابراهما ثم تطورت إلى الثالوث براهما - فشنو سيفا ، ثم تطور إلى عبادة الكهنة ، ثم عبد الناس المقربين إلى الكهنة ، وعلى هذا المثال يمكن معرفة العبادة فى الأديان الأخرى أنها تشابهت فى العقيدة ٠

ثم جاءت الأديان الكتابية مبعوثا بها رسل من عند الله مبشرين ومنذرين ، ولكن الكهنة اليهودية والفريسيين والأحبار والصديقيوم كما هو وارد فى التوراه شوهوا جلال الدين واخترعوا وابتدعوا مما اخرج الدين السماوى الجليل إلى حلبة المنافسات على النبوة والتجارة التعبدية حتى انتهوا إلى عبادة الأصنام والأوثان .

ثم جاءت المسيحية تدعو إلى الفضيلة فى أسمى مراتبها ومعانيها ، ثم خرج بها الكهنة ورجال الاكلتروس إلى شرك ظاهر يتمثل فى التعدد الممقوت الذى يكمن وراء التثليث وتأليه القديسين والشهداء ، ثم انحدروا بها إلى حضيض العقيدة فأصبح القسيس وكيل الله على الأرض ، ما يحله القسيس فى الأرض يحله الله فى السماء وما يربطه على الأرض يربطه الله فى السماء ، حتى تحولت المسيحية التى جاء بها المسيح لتخليص العالم من ترهات اليهود عن طريقها الذى رسمه الله إلى طريق رسمه القساوسة والكهنة .

ولما بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام بدينه. الإسلام ، وشهادة الوحدانية بغير حدود ، دين التحرر الوجدانى من ربقة الاستعمار الكهنوتى ، وخرج المصباح من تحت المكيال فظهرت الحقائق واضحة ، وطمست الرموز والطقوس ، عرف المسلم أن الله معه أينما حل وأينما ارتحل وحيثما كان لا يفارقه لحظة فى أي مكان أو زمان ، يناجيه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى إذا دعاه : " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى " البقرة ١٨٦ ٠

الله قريب من عبده سواء كان العبد فى يقظة أو منام ، وإن عبادة المسلم دائما له سواء كانت فى الفيافى والقفار أو على ظهر السابحات فى البحار والأنهار ، أو على رءوس الجبال ، أو في جوف الأرض، أو في أجواء الفضاء ، تلك عبادة عبد الله الواحد الذي علم عباده " فأينما تولوا فثم وجه الله " يجانب هذا يعلم العبد تمام العلم ويوقن تمام اليقين أن عبادته موجهة إلى رب واحد لا شريك له : " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " سورة الانعام ١٦٢ ، ١٦٣ .
والمسلم فى صومه وحجه وزكاته لا يحتاج إلى كاهن يبارك له تلك العبادات ، أو يرسم له طريقها ، فهو يعلم كيف ولمن يؤديها ، لأنه بفطرته عرف من خلقه ورزقه ومن إليه يرجع الفضل كله ، ويدلك على هذا نشاة الإسلام فى بيئة بدوية بدائية بعيدة عن الثقافة والمدنية ، قكانت أحكامه أقرب إلى البساطة الفكرية فاستساغها أصحاب. القلوب السليمة بعد أن سئموا الرموز والطقوس ، كما تذوقوا حلاوة خواص الإسلام التى يمتاز بها عن غيره من الأديان ، والتى تتلخص فى عدم اعتراف هذا الدين الجديد بطبقة من الكهنة التى تحتكر شعائره ، وعلاقة الفرد فيه متصلة بخالقه مباشرة دون وسيط ، والأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى .
وكذلك النبى محمد الذى بعثه الله رحمة للأمم كافة ، حيث أتى بدين الإسلام لم يدع أنه فوق البشر ، ولم يذكر الله فى التنزيل أنه كان شيئا غير إنسانى ، فما هو إلا بشير ونذير ، ورسول قد خلت من قبله الرسل ومذكر ليس بمصيطر ، ويكفى المسلم ان يقرأ فى القرآن " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " " إنما انا بشر مثلكم " " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر " .

وليس بمستغرب على الإنسان ان يحدد مركز النبى ووظيفته ، وذلك درءا للشبهات التى وقع فيها رجال الدين ، وكانت سببا من أسباب انهيار الأديان ، وانصراف الأتباع عن دياناتهم ، والبحث عن أديان أخرى حتى جاء الإسلام فدخل فيه الحائرون أفواجا وسبحوا بحمد ربهم فوجدوه غفورا توابا .
وتأكيدا لسلامة العقيدة لم يترك القرآن فرصة للمتلاعبين ، حيث لم يجعل عبء الرسالة على محمد وحده أو على أحد دون. أحد من المسلمين ، بل طالب الأمة الإسلامية جمعاء أن يكون كل فرد فيها رجل دين ، فقد أمر الإسلام جميع المسلمين ، لا علماء الدين فقط ، بأن يكونوا دعاة آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكروتؤمنون بالله " سورة آل عمران آية ١١٠٠ وقد قال نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام مكلفا أتباعه يأن يقف كل منهم جنديا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر " من راى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان " ٠
ورجل الدين فى الإسلام مهما بلغت منزلته ، ومهما بلغت به التقوى ومهما وصل إلى الورع لا يتعدى أن يكون عبدا لله ، لأنه له فى رسول الله أسوة حسنة حيث أنه لا يمكن أن يكون أعظم. من محمد الذى أتى بهذا الدين ووصفه الله أنه عبد من عباده " سبحان الذى أسرى بعبده ٠٠٠ " كما أن رجل الدين لا يمكن أن يأخذه الغرور فيدعى انه صاحب الدين ، ولذا كانت له الحصانة حيث أوجب عليه أن يقول فى قنوته " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " .
كيف لرجل الدين وهو يشهد أن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله يظن أنه المسيطر على هذا الدين أو أنه يمتاز عن باقى الأمة الإسلامية فى المعاملة أمام الله ، والكل عند الله على قاعدة واحدة " إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " سورة الحجرات آية ١٣ ٠

وقد حرم الإسلام على المسلم الإيمان بالوساطة أو الشفاعة " من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهمم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم " سورة البقرة آية ٢٥٥ .

كما حرم الإسلام التوسل والدعاء لغير الله " والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشر ككم ولا ينبئك مثل خبير ، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد " . سورة فاطر ١٣ ، ١٥

وقد أشرك الله المسلمين جميعا فى الدعوة وجعلهم خلفاء فى الأرض ، يبشرون بدعوة الله ويدعون إليه على بصيرة كما دعاهم محمد من قبل " قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى " سورة؛ يوسف ١٠٨ .

وليس فى الإسلام خطيئة موروثة تحتاج إلى التكفير عنها بصلب نبى أو ابن الله، بل آمن المسلم ان كل إنسان مسئول عن ما قترفه يحاسب عليه يوم " لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده " " يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه ٠ وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه " — " وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك عليك اليوم حسيبا " ٠

وبالميزان تخرج كفة العقائد فى الإسلام راجحة ، فالله الذى يؤمن به المسلمون إله واحد لم يكن له شريك فى الملك سبحانه وتعالى عما يشركون ، وإن الإسلام قد أوضح الطريق أمام المسلم إلى عقيدة صحيحة فى الذات الإلهية كما أرشده إلى عقيدة سلمية فى إلهداية النبوية ، وربى فيه عقيدة الإنسانية لا تعلوها عقيدة ، وإن أحكام الإسلام لا تعوق المسلم ولا تقيده بقيود مخترعة أو اغلال مصطنعة .

الباب الثاني الإنسان والإنسانية

الفصل الأول الإنسان في الأديان

إن الأديان التى سبقت الإسلام لم تحدد مركز الإنسان تحديدا صحيحا يليق بمركز الإنسانية، ولم تدع للإنسان الوسائل التى تمكنه بالشعور أنه عضو فى المجتمع مكلف بتأدية ما خلق له ، فيقوم بما وضع على عاتقه من واجبات لقاء ما له من حقوق ، وذلك كان سببا قويا لاختلاط الواجبات بالحقوق ، وذلك لأن الأديان جعلت الإنسان كائنا مسيرا غير مخير ، فأصبح كآلة صماء تعمل دون أن يكون لها إرادة .
فإلهنود يقولون إن الإنسان لا اختيار له فى الحالة النى يولد عليها ، لأنها مكتوبة عليه قبل ولادته من الأزل وأنه محكوم عليه بالانفصال من عداد الخلق ، ولن يكتب عليه شقاوة أو يكتب له نعيم قبل أن يذهب إلى عالم الفناء " الترفانا " المطلق من قيود الوعى .
والديانة الفارسية " المجوسية " تركت الإنسان ومصيره المصير عليه مدفوعا بغير إرادته ، فإن صادفه إله الخير وغمره بنوره يكون خيرا مختارا ينعم عليه بالحياة السعيدة فى حياته الدنيا والآخرة ، اما إذا التقى به إله الظلام وطواه فى شره دون أن يكون له رأى فى ذلك ، مرغما على أن يدخل الظلام فيشمله إله الشر ويطرد من النور وتكتب عليه الشقاوة ويدرج فى عداد التعساء البائسين إلى أبد الآبدين دون ذنب جناه " ، أو جريرة فعلها ، أو خطيئة ارتكبها ، كما أن ذلك الإنسان الذي صادفه إله النور يستحيل عليه الدخول في الظلام مرة أخرى حتى ولو أرادات له شهوته وجره سوء فعله إلى الظلام ، وذاك الذ زج به في الظلام ، ظلما رغم إرادته لا يمكن أن يلمس النور والخير با ق ذلك الاضبان حض ولو أرادت له شهوته دجره سر، خطه إلى الظلام ، مهما حاول التقرب إلى إله النور ، ومكتوب على

كفاحه وجهاده فى هذا السبيل الفشل الذريع ٠
اما اليونانيون فقد آمنوا بإله النقمة " نمسيسى " ربة النقمة ، التى لا تعترف باستقلال الإنسان استقلالا ذاتيا ، فذنب غيره محسوب عليه ، وهو محاسب بذنب غيره فتحاسبه على ذنب جاره ، فتؤاخذه بجريرة قريبه وبنى جلدته ، وبهذا يكون الإنسان مدفوعا إلى مصير محتوم لا يملك لنفسه دفعا لظلم نزل به ، أو دفاعا عن نفسه من اعتداء وقع عليه مثله كمثل السائمة ٠
أما الديانة المصرية القديمة فقد كرمت الإنسان تكريما إلا انه كان تكريما محدودا ، فهى بالنسبة للأديان التى ذكرناها خير ، فقد جعلت حساب الإنسان عن عمله فقط ، حيث يقف بعد مماته أمام محكمة ايزيس وأوزوريس التى تحاكم الموتى ، لتحاسبه عما قدمت يداه ، وان كانت نتيجة الحساب متعلقة برضاء الكهنة أو سخطهم على ذلك الإنسان ٠
وقد اخضع البابليون الإنسان لطالعه يوم خروجه من بطن أمه ، فان أشرق عليه نجم السعود فهو سعيد ، وان ظلله نجم منحوس ، والسعد والنحس يلازم كل منهما صاحبه طول حياته وبعد مماته ، كما يجوز للمنجمين والمشعوذين والكهنة ان يتحكموا بالوساطة والشفاعة فى مصير الإنسان ، وذلك بتقديم القرابين والذبائح والمحرقات للافلاك والنجوم ، فمن قدم الرشوة والترضية للكاهن تكتب له السعادة فى عداد من صادفه النجم السعد حتى ولو قابلهم طالع النحس من قبل ، ومن لم يقدم ما فرض عليه كتب منحوسا حتى ولو كان نجمه عبدا يوم ولادته ٠
والإسرائيليون يعتقدون أن هناك شعبا اختاره الله ، وان هناك أناسا رضى الله عنهم قبل أن يروا النور بأعينهم ، كما أن هناك خلقا كتيت عليهم اللعنة وحق عليهم العذاب ، وكتب عليهم الشقاوة ٠
فأما الذين شملتهم النعمة فأولئك من ذرية يعقوب ، والذين عمتهم النقمة هم أبناء عيسو أخى يعقوب ، لأن الله قد بارك

يعقوب ولعن عيسو وهما ما يزالان جنينين فى بطن أمهما ، وبهذا قد حكم على الإنسان جنينا وفى مهده بالبقاء فى العذاب المهين حتى لو حاول التكفير عن الخطأ بالإيمان ، وذلك لأن الرب يهوه إله يفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع ٠

ثم جاست المسيحية بمثلها العليا ، ولكن إرادة الكهنة جعلتها تتفق مع الأديان السابقة على حساب الإنسان بجريرة غيره ، فقد جعلت الإنسان محاسبا بجريرة أصل خلقته ، فربطت بين خطيئة آدم وذريته إلى يوم القيامة ، مما أوقف الإنسان موقفا لا يحسد عليه بسبب ما ورث من وزره أبيه الأول آدم ، فما بإله بوزر جده الذى ورثه أبوه ، ثم ورث هو وزر أبيه وأوزار اجداده السابقين ، هذا خلاف خطيئة آدم الباقية والتى لا بد لها من كفارة ، وليت الكفارة فى مقدور الإنسان فمقدرة الإنسان عاجزة عن أن تقدم ابنا على عود الصلب ، حتى لا يذهب بجريرة آدم أبناء الجنس البشرى كله ٠

وما دامت هذه حياة الإنسان وقيمته الغير مستندة إلى شىء يذكر فهو سليب الإرادة كشجرة اللباب لا ترتفع إلا إذا استندت على غيرها ، أسير فى أيدى الكهان والترفانا وإله النور وإله الشر والنجم السعيد والنجم المنحوس ، تحت رحمة نمسيس ربة الثأر ، منتظر على أحر من الجمر تقرير مصيره على يد محكمة ايزيس وآزوريس ٠

ولا بد للإنسان من البحث عن سلالة طيبة حتى يكون مباركا كسلالة يعقوب فيطمئن بإله ، لأنه مبارك من الله ، والويل له إن كان من سلالة عيسو فهو ملعون ، وما دام قد لعن دون ذنب جناه ، فله الحرية أن يترك لنفسه هواها غير آبه بالقيم الإنسانية أو المثل العليا لأنه مهما عمل من حسنات فهو مكتوب من أهل النار بسبب اللعنة التى نزلت على أصل سلالته وهو ما يزال نطفة أو علقة .

حتى لو كان هذا الإنسان من سلالة يعقوب المبارك ، فماذا تنفعه البركة وهو من سلالة آدم الذى عصا وكان عصيانه وبالا على ذريته فأورث ذلك الخاطىء بنيه من بعده الذل وإلهوان والبعد عن رحمة الله .
إذن فالإنسان فى الأديان قبل الإسلام كائن مبلبل الأفكار مزعزع العقيدة مهزوز الأركان ، لا يملك لنفسه ضرا أو نفعا ، وليس لحياته تبديلا أو تحويلا ، يعيث فى هواجسه حتى يقضى عليه فى زوايا الخمول والنسيان ، و بذلك يكون معطلا عن القيام بدوره فى محيط الإنسانية ، يحيا بلا هدف وبعيش بلا ضمير ، ولذلك عاش جل أيامه عليه تكليف ولم يكن له أي وجه من أوجه التشريف ، قضى كل أيامه تحت سيطرة الكهنة والملوك والقادة يرسف فى أغلال التحكم البغيض . فإلهنود قسموا الشعب إلى طبقات تتدرج إلى اسفل حتى تصل إلى درجة المنبوذين ، وهذا مثل يضرب على باقى الديانات الوضعية ، حتى الديانات السماوية ، فقد كان كهنتها المتحكمين فى الشعب فقسموه إلى فئتين فئة مختارة وفئة غير مختارة ولو تطلعنا إلى الأناجيل لرأينا قصة امرأة سارت خلف المسيح تبغى البركة فحرمت عليها لأنها ليست من خراف بنى إسرائيل الضالة ، ولانها كانت سامرية أو أممية .
ظل الإنسان هكذا حتى جاء الإسلام فعرفه نفسه وتلا قول الله : " ولقد كرمنا بنى آدم " ومن هنا عرف الإنسان أنه خلق فى أحسن تقويم .

الفصل الثاني الإنسان في الإسلام

الدارس بغير تعمق فى الإسلام يجد أن موقف الإنسان فى الدين الإسلامي غيره فى باقى الأديان ، فقد جاء الإسلام من أجل الإنسان والإنسانية ، شأنه فى ذلك شأن باقى الرسالات الربانية ، ولكن الإسلام كان تتمة الرسالات فلم يكن فيه الثغرات ولم يسمح لرجال الدين أن يخرجوا به عما جاء به ومن أجله .
فقد خلق الله الإنسان بأسمى الأهداف ، ولأجل المهام ، خلقه الله ليكون خليفته فى أرضه ، فقد ورد فى قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة آية ٣ " واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة " والخلافة فى الأرض تحتاج للمؤهلات التى ميز الله بها الإنسان ، ولو دققنا النظر فى تلك المؤهلات لوجدنا أن قوامها مزاج من المادة والروح ، فالمادة تتجلى فى قوله عز وجل فى سورة ص آية ٧١ " إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين " وتلك المادة جاءت من طبيعة الأرض التى خلق الإنسان من أجل عمارتها ، أما الروح فهى لطيفة من سر الله سبحانه وتعالى تكمن تحت قوله عز وجل فى سورة ص آية ٧٢ " فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " ٠
ومن هنا كان سر تكوين الإنسان ، فقد سجد الملائكة له كلهم أجمعون إلا ابليس الذى أبي واستكبر فكان من المطرودين ، وخلق الإنسان بقدرة العلى الكبير من هذا المزاج ، فتفاعل سر الروح مع طبيعة الأرض فكان الإنسان تحت تأثير عاملين . أولهما الأثر الروحى فى حياته حيث كان دائما نزاعا إلى السمو فيتطلع إلى ربه ، وثانيهما أن الإنسان كان ميالا إلى الانجذاب والرجوع إلى طبيعته الأرضية التى تحبب إليه النزول إلى الأرض والانغماس فى متعتها الحيوانية .
ولذلك نشأت عند الإنسان غريزتان : أولهما حب البقاء والخلود ، وذلك مقتبس من مدخل الشيطان للإنسان وذلك واقع تحت

قول ربنا وخلق الإنسان بغرائزه الحيوانية وأمداده الروحية ، لم يكن كفيلا بمعاونته على تأدية رسالته فى الأرض ، ولذلك اقتضت حكمة الله عز وجل أن تجعل منه قوة إنشائية مباركة ، تقوم بما كفلت به على الوجه الأكمل على هدى من الله ، فأعطاه الله الموهبة التى جعلته مستعدا لقبول العلم والمعرفة والتفكير والإنشاء والتعمير وتبطل احتجاج الملائكة على خلق ذلك الإنسان عندما جاء على لسانهم فى سورة البقرة آية ٣٠ " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إنى أعلم ما لا تعلمون " .
وكان تشريفا لذلك الإنسان ونصرا له من الله على هؤلاء الملائكة المقربين ما جاء فى سورة البقرة آية ٢٣ " وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " .
ولم يكن عصيان آدم وخروجه من الجنة لهوا أو عبثا ، فقد خلق آدم لعمارة الأرض ، ولذا لم تكن حوادث إغراء الشيطان له واستدراجه إلا امتحانا لكى يرى الإنسان ما هو عليه من الضعف البشرى والعجز أمام شهواته ونزواته ، ولذلك يتولد عنده الشعور بأنه دائما محتاج إلى من يهديه ويرشده ويرحمه ويغفر له ، وهنا يكون سر التجلى للطيفة الربانية فى الإنسان ، ويحسم القرآن الكريم هذا النزاع بقول الله عز وجل فى سورة طه آية ١٢١ ، ١٢٢ " وعصا آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى " ثم يوضح القرآن شعور آدم بالخطيئة واستغفاره ربه وغفران ربه له " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الله إنه هو التواب الرحيم " سورة البقرة آية ٣٧ .
ومع قبول الله سبحانه وتعالى توبة آدم وغفرانه له ، لم يمنع ذلك من تنفيذ إرادة الله سبحانه وتعالى وإخراجه وزوجته من الجنة إلى الأرض التى خلق لها ، ومنها ثم يعود اليها ثم يخرج منها تارة أخرى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

تارة أخرى " وإلى حيث هبط الشيطان الذى كان سببا فى إخراجهما ، والذى استحكم العداء بينه وبين الإنسان من يوم أن رفض السجود لذلك الإنسان قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو " سورة طه آية ١٢٣ .
اذن فالإنسان والشيطان قد خرجا إلى الأرض وكل منهما يضمر للآخر حقدا ، فالشيطان لا ينسى أنه أخرج من الجنة وهبط إلى الأرض بسبب تبارك وتعالى فى سورة طه آية ١٢٠ " قال يا أًدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " ومن حب البقاء والرغبة فى الخلود عرف الإنسان الغرائز الجنسية ، وذلك بظهور أعضاء التناسل التى ظهرت له بعد أكله من الشجرة المحرمة عليه ، وذلك ما بينه الله فى سورة الأعراف آية ٢٢ " بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة " .
والغريزة الثانية التى نشأت مع حب البقاء ، كانت وليدة الأثر الروحى والجانب الإلهى ، وهذا واضح من التوبة عقب الخطيئة ، فالجانب الإلهى يشرق ، ويحتوى الإنسان ميل جارف إلى النزوع إلى الله حين يجد نفسه فى حاجة إلى ربه فيقبل عليه فى ذلة وخضوع مستغفرا تائبا منيبا متأسفا نادما على ما فرط فى جنب الله وما وقع منه من الذنوب والآثام ، وان لأوضع الصور هي لجوء آدم إلى ربه بعد وقوعه فى المعصية ، وذلك ما ورد فى قول الله عز وجل فى سورة الاعراف آية ٢٣ على لسان آدم وحواء " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " ٠
وكان لله حكمة سامية فى خلق خليفته من المزاج المركب من الروح والمادة فعلى قدر إدراكنا يمكننا الاستنباط والخروج بالهدف من وراء تلك الحكمة ، وذلك يمكن تلخيصه فى سببين :
أولهما أن الإنسان إذا ما أخطا وانجذب إلى ارضته فهو بذلك يميل إلى أصله الذى خلق منه ، وهو الصلصال الحمأ المسنون والصلصال عبارة عن الطينة النتنة من الأرض ، ومن أصل الإنسان يتعلم ذلك المخلوق فلا يتكبر ولا يطغى ، ولا يمشى

فى الأرض مرحا ، وتكون له الحصانة التى تجعله لا يضل فيما يسعى ، لأنه عرف انه موصوف بالنقصان وان خالقه موصوف بالكمال ، فلا يعترف بما جاء به سفر التكوين ، وهو من أسفار بنى إسرائيل إن الله خلق الإنسان على صورته ، فلا يصدق ذلك الضرب من ضروي اللهو ثم يؤمن أن الكمال له وحده وأن الله وحده وإن الله ليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السماء ولا شبيه ولا مثيل ٠
وثانى السببين أن الملائكة قادرون على فعل الخير فقط ، لا عمل لهم إلا التسبيح والتهليل والتكبير ، وأن الإنسان بمزاجه هذا قادر على فعل الشروالخير ، وبذلك يكون خلقه ممتازا فيتمكن من القيام بالرسالة الملقاة على عاتقه ، وإن رسالة تعمير الأرض لأمر جليل يحتاج إلى ذلك الإنسان الذى صنعته القدرة الإلهية من هذا الخليط الذى جعل الإنسان معدا إعدادا يتكافأ مع حكمة الله عز وجل الذى خلقه لما يسر له .

الإنسان ولذلك فهو يتربص له ريب المنون ، قال : " فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين " سورة الأعراف آية ١٦ ، ١٧
والإنسان يعتبر الشيطان عدوا له ، فقد أخرجه من الجنة بعد أن أغوى فيه طبيعته السليبة الميتة " وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين " فأراد أن يسترد اعتباره متخذا من طبيعته الإيجابية الحية ، طبيعة الروح " ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون " سورة السجدة آية ٩ " سلاحا يبطش به بذلك العدو اللدود الذى حرمه منزلته ٠
والإنسان فى صراعه مع الشيطان يعمل ما فى وسعه ، ويبذل اقصى طاقته للانتصار عليه ، وهذا الصراع من جانب الإنسان تحقيقا لإرادة الله عز وجل " وما خلقت الجن ولانس إلا

ليعبدون " فيحافظ على المرتبة العظمى التى كانت تتطلع اليها الملائكة فيستعيذ بربه من ذلك الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

وهكذا يظل الإنسان بين الكر والفر ، تارة ينتصر على الشيطان وتارة يهزم أمامه ، فاذا ما تغلبت طبيعته النورانية الروحانية واهتدى كان من المنصورين ، وبذلك يدحض حجج الشيطان وتتمشى فيه روح الجندى لله ويستل سيوف النصر لله فوق هامات أعداء الله " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " .

وإن تغلبت على الإنسان حيوانيته وجذبته الأرض اليها وزين له حب الشهوات ، سار مع الشيطان فى غوايته ، فى تلك الحالة كان من المنهزمين وبذلك يكون خصما لرب العالمين ، ويخضع الخضوع الكلى للشيطان ، ويحق عليه أن يوصف بصفات ذكرها الله عز وجل فى القرآن الكريم ، وبذلك تكون قد تخلت عنه اللطيفة الربانية وتطلق عليه هذه الصفات .

" ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا " سورة الإسراء آية ١١" وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا " سورة الأنعام آية ١١٢٠ " إنه ليئوس كفور " سورة هود ٩ .

إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا " سورة المعراج الآيات ١٩ ، ٢١

" ان الإنسان لظلوم كفار " سورة إبراهيم آية ٣٤ ٠

" إنه كان ظلوما جهولا " سورة الأحزاب آية ٧٢ ٠

" وكان الإنسان أكثر شىء جدلا " سورة الكهف آية ٥٤ .

" إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى " سورة العلق آية ٧،٦

" إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد ٠٠ " سورة العاديات الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ ٠

" إن الإنسان لفى خسر " سورة العصر آية ٢ ٠

" بل يريد الإنسان ليفجر أمامه " سورة القيامة آية ٥ .

" وكان الإنسان قتورا " سورة الإسراء آية ١٠٠ .

" وخلق الإنسان ضعيفا " سورة النساء آية ٢٨ ٠
وسواء كان الإنسان متبعا لطبيعته الإلهية أو طبيعته الحيوانية ، فهو فى الإسلام حر مكلف يستطيع أن يصعد قمة المجد الذى هيأه له ربه وبهذا التكليف يكون الإنسان قد كرمه ربه حيث جعله مخيرا فيما يذهب إليه ، فقد حمل ما عجزت عن حمله كل من السماوات والأرض والجبال " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأزض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الإنسان " ٠ سورة الأحزاب آية ٧٢ .
وذلك بعد أن بين الله الخير والشر للإنسان وكمله بالامكانيات وأحسن خلقه ٠
" ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ، أفلا اقتحم العقبة " سورة البلد الآيات ٨ — ١١ .
وبذلك كان الإنسان حرا فيما يختاره لنفسه جنة أو نارا تكريما أو إهانة " بل الإنسان على نفسه بصيرة " سورة القيامة آية ١٤ . فهو محاسب عما كلف به ٠ " ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر " سورة القيامة آية ١٣ .
" وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه " سورة الإسراء آية ١٣ .
كما بين القرآن أنه ليس للإنسان إلا ما بعى ، وأنه لي ضحية لخطيئة موروثة أو جريرة جناها ابوه أو جده .
"لاتزر وازرة وزر أخرى " سورة فاطر آية ١٧ ٠
وذلك هو الإنسان فى الإسلام ، ولم يتركه الإسلام وشأنه ، بل أعده إعدادا كاملا لتحمل المسئولية ، وتأدية الرسالة ، وحمل الأمانة فقد كفل الله له من العلم وتهيئة أسباب الحياة ، وتنظيم حياته فردا وجماعة ، وحيدا وفى أسرة ، وفى عشيرته أو دولته ، فى وطنه أو مع أوطان أخرى ، ميسرا لما خلق له ، وذلك ما سنفصله فيما يلى من هذا الكتاب ٠

الفصل الثالث الإنسان فى مدرسة الإسلام

كما يدخل الطفل المدرسة ليتخرج رجل المستقبل ، كذلك جعل الإسلام للإنسان مدرسة يخرج منها إنسانا صالحا قادرا على تحمل ما كلف به من أمانة ناءت بحملها السموات والأرض والجبال ، ومنهاج هذه المدرسة كتاب أنزله الله تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، وسنة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى قيل من لدن الرحمن فى حقه قوله : " وما ينطق عن إلهوى ، إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى " سورة النجم الآيات ، 3 ، 5

لقد اهتمت هذه المدرسة بالإنسان اهتماما بالغا أدى بالمسلم ان يكون بالنسبة لغيره من بنى الإنسان عضوا عاملا منتجا ، عليه من الواجبات مثل ما له من الحقوق ، ما لم يشرف به غيره من أتباع الديانات الأخرى ٠

بذلك كان المسلم فى عمله هادفا وفى رسالته مصيبا لمرمى ، مما نتج عنه سيادته للعالم ، فقد أتى حين من الدهر ساد فيه العلم العالم وارتفعت راية الإسلام خفاقة على ربوع الأرض ، وذلك يوم أن تمسك السلف الصالح من المسلمين بمنهاج المدرسة الإسلامية وطبقوه عملا عن علم وإخلاص ، عن عقيدة وتضحية وليدة الحب الإلهى الذى يدفع الإنسان بقوة لا تعد لها قوة فتتفتح له الآفاق وتتحطم أمامه الحواجز ، ذلك كله يوم أن كان المسلمون صفا واحدا يوم أن كان " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " سورة الفتح آية ٢٩ ٠

وإذا كان المسلمون فى وقتنا الحاضر قد نزلوا عن مراتبهم ورجعوا القهقرى فذلك راجع لإهمإلهم منهاجهم ، ولعدم تمسكهم بما أوجبه عليهم ربهم ونبيهم ٠وإذا كان بعضهم ينسب العيب للإسلام ، فهذا محض افتراء ، فليس للإسلام من ذنب ، فالعيب عيب المسلمين الذين تركوا جوهرهم وتمسكوا بعرض

غي‌رهم فكان وبالا عليهم ، وأصبحوا مسودين بعد أن كانوا سادة ، وهذا مآل من يجرى وراء العرض الزائل ويتخذ من أعداء الله بطانة له ، فلا يألونه إلا خبالا . وهدف المدرسة الإسلامية أن تخرج الإنسان الذى يسود نفسه ويكسر مؤمنا بالغيب ، مؤمنا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله له فى قوله عز وجل " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " سورة المنافقون آية ٨ - " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " آية 143 وبذلك يستطيع فى ظل تلك التربية الداعية إلى قوة الإرادة التغلب على أعدائه وبذلك تعود راية الإسلام للارتفاع فوق كل البقاع بفضل التربية الربانية والمنهاج الإلهي ، فأول الدروس التى يتلقاها المؤمن بالمدرسة الإسلامية أن يكون مؤمنا بالغيب ، مؤمنا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل على الرسل من قبله ، مبرهنا على إيمانه بأعمال يؤديها فيها الخير كله لنفسه ولغيره ، فاذا ما أداها كان من المتقين وكان على هدى من ربه ، وبذلك يدخل فى عداد المفلحين ، وذلك ما ورد فى سورة البقرة آية ١ - ه " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " .

ثم تتوالى الدروس كلها تقويم للإنسان الذى يتعلم منها المجاهرة بالحق وإبداء الرأي فى شجاعة أدبية لا يخاف لومة لائم ، ولو كان ذلك الحق فيه هزيمة لنفسه ونصرة لعدو متتبعا الأمر الصادر فى سورة البقرة آية ٤٢ " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون " وكذلك يتلو ما ورد فى سورة النساء آية ١٣٥ من أمر لله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين " ثم يأتمر فى سورة المائدة آية ٨ " يا أيها الذين

آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون " .
والإنسان الذى أخرجته معصيته من الجنة لعدم وفائه بما التزم به وهو عدم أكله من الشجرة المحرمة عليه ، لا يصح أن يترك فى أغلال الخطيه . بل بجب أن يخرج منها بالتوبة والوفاء للعهد ، وذلك بدروس يتلقاها فى مدرسة القرآن حتى لا يتعرض للتجربة مرة أخرى ، وبذلك يطلق على المتحررين من ربقة الحنث بالوعود والعهود لقب الموفين بعهدهم إذا عاهدوا ، وذلك بفضل ما تلقوه من أمر " وأوفو بالعهد إن العهد كان مسئولا " سورة الإسراء آية ٣٤ .
ومهما كلف الإنسان الوفاء بالعهد فإنه يلتزم به ، لأنه يؤمن أن نتيجة ذلك هو الفوز العظيم ، كما قرأ فى منهاج ربه " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " سورة التوبة آية ١١١
والوفاء بالعهد صفة ملازمة لصفة الصبر وذلك لما ورد فى قول الله تعالى " والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " سورة البقرة آية ١٧٧ .
ولما كانت العقود عهودا ، والتعاقد بين الناس عهدا ، ولما كان الإيمان بالله ميثاقا بين العبد وربه يفرض على العبد تأدية العبادات والعمل بالأوامر والابتعاد عن النواهى ، فقد أرادت عناية الله ألا تهمل العقود أو المواثيق ، سواء كانت بين العبد وغيره من بنى الإنسان ، أو كانت بينه وبين الرحمن ، فقد أشار اليها عز وجل فى قوله : " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " - " الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون المبثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب

، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار " سورة الرعد من ٢٠-٢٢٠
ولا يستطيع الإنسان الوفاء بالعهد ولا يمكن أن يطلق عليه لقب المؤمن إلا بالامتحان والتجربة والابتلاء وجواز النجاح فى الامتحان هو الصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء ، ولذا قال تبارك وتعالى فى أول سورة العنكبوت : " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " ، وفى سورة البقرة ضرب الله على الوتر الحساس من الإنسان .وجعل الامتحان فيما يحافظ عليه المرء ويتكالب فى جمعه والمحافظة عليه بكل ما أوتي من قوة وجهد ، فقد قال الله تبارك وتعالى " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين " البقرة آية ١٥٥ ٠
كما يدرس الإنسان فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وفى الكتاب الذى أنزله الله على ذلك النبى الوسائل التى تساعده على الصمود أمام تلك التجارب والنجاة من الفتنة فيقرا فى الدستور الجامع منهاج رب العالمين القرآن الكريم " استعينوا بالصبر والصلاة " ثم يريد الله بهذا الإنسان خيرا فيقص قصص من مسهم بالبأساء والضراء من قبل فصبروا وصابروا وبذلك نصرهم الله " مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ، إلا إن نصر الله قريب " البقرة ٢١٤ ٠
وإن وصف الله سبحانه لهؤلاء الذين ذكرتهم السابقة لخير وصف لقوم ورد عنهم فى قوله تبارك وتعالى " الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار " ذلك الوصف الذى وصف الله به أولئك الذين رضى الله عنهم فذكر لهم الصفات الآتية فى قوله تبارك وتعالى " الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار " سورة آل عمران آية ١٧ ، الذين جمعوا بين أيديهم نعيم الدنيا وعز الآخرة

حتى وصفهم الله وأخبر عنهم فى كتابه الكريم " ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب " .
والعلم الذى يتلقاه الإنسان فى مدرسة الإسلام الكبرى ليس مجرد علم يتعلمه ليحفظه فى صدره ، كما أن الأوامر والنواهى ليست مجرد قوانين تسن ولا يسأل عنها الإنسان ، بل أمر الإنسان أن يطبق علمه فى حياته العملية ، وذلك بأمر من الله الذى جعل الرقابة من جانبه سبحانه والرقابة ين جانب الرسول والمؤمنين ، فقد أمر عز وجل : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " فان عمل بما علم وأطاع الله ورسوله ، دخل فى مصاف الذين أنزل الله فى حقهم الآيات " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " .
وكل إنسان لا يجهل مقر هؤلاء الذين ذكرتهم الآية الكريمة ، فقد قرأ كل مسلم " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " سورة البقرة آية ٢٥ - " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " " جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب " سورة فاطر آية ٣٣ -٣٥ - " والذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خلدون "-" قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد " سورة آل عمران آبة ١٥ ٠

وإذا أصاب الإنسان فتور أو توانى عن العمل ، فأمامه النداء من الله عز وجل الذى يفتح يده بالليل ليقبل مسىء النهار ويفتح يده فى النهار ليقبل ,مسىء الليل ، والنداء يقول : " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين " وهؤلاء المتقون عرفهم ربهم بقوله " الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين " . وقد أعقب النداء سبحانه وتعالى للذين فعلوا الفواحش يطمئنهم " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين " سورة آل عمران الأية ١٣٦ .
وإذا كانت الأيات السابقة طلبت من الإنسان ان يسارع إلى المغفرة ، فقطار المغرة هو الاستغفار ، وإن رحمة الله بعباده جعلت من الاستغفار متاعا فى الدنيا والآخرة ، ودليلنا على ذلك ما ورد فى قول الله عز وجل" على لسان نوح عليه السلام لقومه : " فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء، عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا " سورة نوح الآيات ١٠-12.
وفى العمل للخير قد حث رسول إلله صلى الله عليه وسلم الإنسان بأحاديثه ، فقد روى عن أبي أمامة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك "" رواه مسلم والترمذى ، وعن بلال رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رزقت فلا تخبأ ، وما سئلت فلا تمنع ، فقلت يارسول الله وكيف لى بذلك ؟ قال : هو ذاك أو النار " ٠ وخلاصة تعاليم الإسلام أدب وأخلاق وتعاون وتعارف ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، ففى الناحية الدينية والروحية يتساويان " ومن يعمل من

الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " سورة النساء آية ١٢٤٠
" من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة
ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " سورة النحل آية ٩٧ .
" فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " سورة آل عمران آية ١٩٥ :
ومن الأدب القرآنى ينهل الإنسان نهلا عذبا يحدد له احترام الحرمات وأدب العلاقة بينه وبين غيره من البشر حتى يكون إنسانا كاملا يستحق ما توج به من لطيفة ربانية ، وإن التعاليم والأوامر التى وردت فى سورة النور لكفيلة بأن تخلق فردا صالحا يكون نواة صالحة لأسرة صالحة تكون أساسا لمجتمع صالح فقد ورد فى قول الله عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "27" فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ "28" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ "29" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "30" وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أبناء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ

جَمِيعًا أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ "31" . سورة النوز الأيات ٢٧- ٣١٠
اذن ما سردنا من أمثلة على سبيل المثال فى التهذيب الروحى للأمان يثبت بلا مجال للشك أن الإنسان خلق لرسالة وحمل أمانة ، وعليه أن يجاهد حتى يطبق علمه فى حياته ، ويترجم علمه عملا ، وقد أحاط الله الإنسان علما بأنه ان لم يطبق ما تعلمه فى حياته ولم يعمل بما أمر ، فقد أنزل له مع الترغيب وعيدا ،، ومع البشرى نذيرا ، ومع الوعد تهديدا جزاء ما فرط ولم ينتفع بما تعلم فدخل فى زمرة الذين يقولون ما لا يفعلون ، وقيل له من لدن العزيز الحكيم " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " ثم يسمع خطاب الله له "ثم كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف " اتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " البقرة آية 48 .
"يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم". كل هذا ذكر من الله عز وجل ضمنه كتابا لا ريب فيه هدى للمتقين والإنسان حر فيما يختاره لنفسه فهو يسمع قول الله عز وجل : " من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ، خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ٠ يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا ، نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما " . سورة طه الآيات ٩٩ - ١٠٤ . اذن فالإنسان رهين بما كسبت يداه سيحاسب فى يوم يؤمن أنه لابد آت
" يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما . وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ٠

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ". . سورة طه الآيات ١٠٨ - ١١٢ .
ولقد كان الإنذار من الله عز وجل لآدم عندما أخرجه من الجنة تحصينا وتعليما، كما أن فيه البلاغ المبين .
" قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قل رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ٠ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ٠ وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى " . سورة طه الآيات من ١٢٣ -١٢٨ .
والإسلام بمدرسته هذه اشترط فى المسلم شروطا صادقة وإيمانا يترجمه العمل ، ومرآة إيمان المرء عدة صفات تظهر المؤمن على حقيقته ، فالتواضع مع العزة والكرم مع الإقساط والعدل ، والطهر مع العفة ونقاء الطوية مع الفطنة ، والتوبة الصادقة مع الحرص من الزلل . والخوف من الله مع عدم التهاون فى الأخذ من حدود الله مأخذ الهزؤ ، والعغو عن الإساءة الشخصية مع العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها " كل هذه صفات تظهر المؤمن بمظهره الذى يجب أن يكون عليه ، وبذلك يكون المؤمن قد انطبق عليه قول الله تبارك وتعالى فى سورة الفرقان : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والنين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ٠ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما. ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ،إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل عملا صالحا فانه يتوب إلى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والنين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما " ٠ سورة الفرقان اليات ٦٣ — ٦٧ .

وبهذه الامثلة وبتلك التعاليم التى عنى الإسلام أن يلقنها للفرد يخرج المسلم وقد حمل معه شهادة من الله ورسوله تشهد أنه فرد صالح ، والفرد نواة المجتمع الأولى ، حيث أنه من الفرد تتكون الأسرة ، والأسرة هى اللبنة الأولى فى المجتمع .

وإن تهيئة الفرد لهى تهيئة للمجتمع كله ، ولذلك عرضنا فى بحثنا هذه العجالة التى عنوناها بمدرسة الإسلام ، لنبين عناية الإسلام بتهذيب الفرد ، وسنتبع هذا البحث بفصول نبحث مدى تهيئة الإسلام لأسباب الحياة للإنسان ، ثم ندخل فى موقف الإنسان من المجتمع وموقف المجتمع من الإنسان ، أي نوضح موقف الإسلام من الإنسان والإنسانية .

الفصل الرابع تهيئة أسباب الحياة للإنسان

الباحث فى الدين الإسلامي والمتعمق فيه ، بعد أن يعرف سبب خلق الإنسان ، وطبيعة خلقه التى كانت مزاجا من توامين ، الأول اللطيفة الإلهية الروحية ، وهذه وظيفتها، النزوع إلى الله عز وجل والعبادة له والثانى طبيعة أرضية عملها جذب الإنسان إلى الأرض وحب الخلود فيها ، وقد بينا فى الفصول السابقة أن الإنسان خلق لعمارة الأرض .

يجد الإسلام قد خرج بالإنسان من القيود والأغلال التى طوقت جيده زمنا طويلا ، آخره عهد الكنيسة التى أبقت السلطة فى يدها ، ولقد كانت سلطتها مقدسة تملك رقاب الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، حيث ظلت تبيع صكوك الغفران وتصدر قرارات الحرمان ، حتى جرها ذلك إلى مقاومة ومناهضة الأفكار الحرة ، التى تتعارض مع نظريات الرق والاستعباد الدينى ، مما نتج عنه وجود طوائف من العلماء والمفكرين تحتقر الكنيسة ولا تعترف برجال الدين ، وكان عمل هذه الطوائف مناهضة الكنيسة ورجإلها مما جعلهم فى مهب الريح كريشة لا تملك لنفسها أمرا ولا تستطيع أن يكون لها مستقر .

ولما جاء الإسلام بقواعده الثابتة ، أظهر وظيفة الإنسان وجعلها واضحة المعالم فى شعائره ونظمه ، التى وفقت بين الروح والمادة والعبادة والعمل ، فلا عزلة للجانب التعبدى عن الجانب الدنيوى لذلك الإنسان بل وضعت العبادة والعمل فى كفة واحدة من الميزان ، حيث جعل الإسلام العبادة عملا والعمل عبادة ، وخير دليل على ذلك أمر الله فى القرآن الكريم فى سورة الجمعة " ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله " سورة الجمعة الآيتان 9. 10

إذا لم يخلق الإنسان عبثا،ولم يخلقه الله ليكون من الساجدين المسبحين فقط أو يكون من العاكفين فى ركن من أركان المسجد ، أو مترهبا فى ديره ، أو سجينا فى صومعة ، فقد كان الله فى غنى من عبادة ذلك الإنسان لان الملائكة وكل ثىء خلقه الله يسبحه ويذكره، فكانت للملائكة وظيفة واحدة وهى العبادة فقط، ولكن الإنسان كانت له وظيفة أخرى بجانب وظيفة العبادة وهى العمل على عمارة الأرض ، لكى تظهر نعمة الله ظاهرة وباطنة ، وقدجاء فى سورة الكهف فى آية ٨٤ قول الله تبارك وتعالى : " إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيئ سببا ، فأتبع سببا " ٠

بل خلق الإنسان ليسبح ويعمر ، ويسجد ويشيد ويركع ويزرع ، ويصوم ويروى ، ويحج ويتاجر ٠ يستمتع بحياته الدنيا استرواحا منه واستمتاعا بنسمات الأخرة .

ولم يهبط الإنسان من الجنة إلى الأرض ليكون كلا عليها يعيش كالسائمة دون أن يفلح تلك الأرض فيخرج من بطونها آلاء الله ونعمه ، ولو تتبعنا ما جاء فى سورة الحج لعرفنا لم خلق الله الإنسان " ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا علبها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " سورة الحج آية 5 .

إذن هبوط الإنسان إلى الأرض بعد غفران الله له كان يعد غواية الشيطان وبذلك عرف الإنسان أنه عدو لدود لابد أن يصارعه حتى يصرعه ، فنشأت عنده شهوة الصراع ، والصراع يحتاج إلى القوة : والعمل من أسباب القوة ، وقد ايد ذلك قول الله عز شأنه فى سورة الحج آية 40 " ولولا دفع الله الناس بعضهم

ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " .
والإسلام بعد كل عمل يعد ذلك العمل سواء كان لصالح الفرد أو الجماعة من شعائر الدين ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا رواه الشيخان والترمذى والنسائى :"" الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار " ٠
ولو تتبعت حياة النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، ودرست سنته التى خلفها من بعده ، لرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع العلم العمل ، أو يجعل من العمل علما . فقد أخرج الستة الرواة للحديث عن أنس رضى الله عنه قال : " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره ، فمنا الصائم ومنا المفطر . قال : فنزلنا فى يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، فمنا من يتقى الشمسى بيده - قال : فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقطوا الركاب فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله " ٠ وإنى دائما لأتخذ من حادثة لثلاثة جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نبراسا فى حياتى وقانونا من القوانين التى عجز المقننون على اختلاف نزعاتهم وفى مختلف العصور والأزمان من أن يبلغوا ما بلغته كلمات رسول الله صلى إله عليه وسلم من حكمة وبلاغة واصابة مرمى ٠
فقد روى ألشيخان والنسائى عن أنس رضى الله عنه انه قال : جاء ثلاث رهط الى. بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، " قالوا : أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما انا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ٠ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا . وأما والله إنى لأخشاكم

وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتى فليس منى " ٠
ومن هذه التعاليم وبهذه الروح كان الإنسان فى الإسلام مطالبا بالعمل المبنى على التفكير والتأمل ، فلم يعتمد على خوارق الأمور وبواطن الغيبيات ، فقد ورد فى القرآن الكريم ما ضرب الله من أمثلة تدعو الإنسان للتبحر والتعلم بانيا ذلك على التفكر والتأمل قال الله تعالى : " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " سورة البقرة آية ١٦٤ .
" إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " سورة آل عمران آية ٩٠ ، 91 ٠
"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ "16" وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ "17" إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ "18" وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ "19" وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ "20" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ "21" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ "22" وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ "23"" سورة الحجر الآيات ١٧ - ٢٣ ٠ "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ "2" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَفَكّرُونَ "3" وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "4"" سورة الرعد الآيات 2: 4

, ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون " سورة النحل آية ٧٩ .

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ "43"" سورة النور آية ٤٣ . وبعد دور التفكير والتأمل يخرج الإنسان من دائرة التهيئة والتصميم والرسم إلى دور التنفيذ ، وذلك ناشىء عن قول الله عز وجل فى سورة الأعراف آية١٠٠

"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ "10"" ، ثم يستمر الإنسان فى عمله لا يتخلى عنه إيمانه ينفذ مشيئة الله فى البحث عن قوته الذى ضمنه الله له فى قوله تبارك وتعالى : " وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور " وضمان آخر :" وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها " ، مع شرط العمل والبحث إيمانا من الإنسان أن الله مربى غذاء ، فهو يفلح الأرض والله " هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا " .

ثم يبدأ الإنسان فى تقليب أرضه وحرثها وبذر البذور فيها ، ثم يأتي دور الرى والإنبات فى سورة البقرة آية ٢٢ " الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " وقدرة الله تبارك وتعالى تتجلى فيما أورده فى كتابه الكريم الذى لم يفرط فيه من شىء ، ولنضرب أمثلة من قول الرحمن :

"إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ "95" فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ

اللّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ "96" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "97" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ "98" وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "99"" سورة الانعام الآيات 95: 99

"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ "141"" سورة الانعام آية ١٤١٠ "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "57" وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ "58"" سورة الأعراف الآيتان ٥٧ ، ٥٨ ٠ "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأمثال "17"" سورة الرعد آية ١٧ ٠. "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ "10" يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "11"" سورة النحل آية 10 : 11 "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ "18" فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا

فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأكُلُونَ "19" وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ "20" " سورة المؤمنون آية ٢٠ .
"أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ "60"" سورة النمل آية 60 . "الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ "80"" سورة يس آية ٨٠ .
وعمل الإنسان بالزراعة يحتم عليه أن يعمل على إيجاد مسكن له يقيه الحر والبرد ويتخذه مخرنا ، لحصاده فألهمه الله فن البناء والعمارة .
" والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ... وجعل لكم من الجبال أكنانا " سورة النحل آية ٨٠ .
" واذكروا إذ جعلكم خلفاء . . . وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين " سورة الأعراف آية ٧٤ .
" ... لببوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " سورة الزخرف آية ٥٣ .
ثم احتاج الإنسان عند اكتشافه الزراعة إلى تنظيمها وترتيب مواسم الزراعة والحصاد فعلمه الله عدد السنين والحساب لكى يتمكن من ضبط أوقاته سواء فى العمل أو العبادة .
"يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج " سورة البقرة آية ١٨٩ .
" هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ، إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله السموات والأرض لآيات لقوم يتقون " سورة يونس الآيتان ٥،٦ . ،

" ان عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب لله يوم خلق السموات والأرض " سورة التوبة آية ٣٦ .
" وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد الذين والحساب وكل شيئ فصلناه تفصيلا " سورة الإسراء آية ١٢ ٠
ومن رحمة الله على عباده ولطفه بهم نظم لهم العمل والراحة ، فقال : " فالق الإصباح وجعل الليل سكنا " سورة الانعام آية ٩٦ ٠
" هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون " سورة يونس آية ٦٧ ٠
" وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا " سورة الغرقان آية ٤٧ ٠
" وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا " سورة النبا ا1يات ٩- ١١ ٠
والزراعة والحصاد يحتاجان إلى الآلات الزراعية ، مما أوجب على الإنسان أمام إلحاح الحاجة إلى التفنن والاختراع وصنع آلاته ، كالفأس والمحراث وغيرها ، ثم تطورت صناعاته ، فكان فى احتياج إلى ما يجر المحراث وينقل محاصيله ، فاستأنس بعض الحيوانات التى سخرها الله لخدمته .
وهنا يتجلى تكريم الخالق للمخلوق واضحا فى آياته وآلائه سبحانه وتعالى الذى فصل كل شىء فأحسن تفصيله ، حيث جعل فى الأنعام منافع كثيرة وفوائد جمة للإنسان ، وذلك ظاهر فى أصدق القول قول الله عز وجل الذى أبان لنا قدرة الله التى أخرجت لنا لبنا سائغا من بين فرث ودم وشهدا فيه شفاء للناس من بطن حشرة صغيرة ، وجعل لنا مما أفاء علينا من الفواكه سكرا ورزقا حسنا وإليك بيان العزيز المحكيم ٠٠٠
"وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ "5" وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ "6" وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ

"7" وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "8"" سورة النحل الآيات ٥ - ٨ .
"وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ "66" وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "67" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ "68" ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "69"" سورة النحل الايات ٦٦ ٠ ٦٩٠
ثم قامت الصناعات التى تناسب تطورات الزمن واحتياجات الإنسان ، فاتجه الإنسان إلى الصناعلت الجلدية والصناعات الناشئة على عظام الأنعدم ، كما قامت صناعات الغزل والنسيج والملابس والخيام على مخلفات تلك الانعام .
"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ "80" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ "81"" سورة النحل الآيتان ٨٠ ، ٨١ ٠
ولم تكن الصناعات التى قامت على الزراعة ومخلفات الحيوان تتفق وتطور المدنية الإنسانية ، فاكتشف الإنسان الحديد فى باطن الأرض كما اكتشف غيره من المعادن ، ومن هنا تعلم الصناعات المعدنية وادخلها فى حياته ، ثم تطورت الصناعات المعدنية فتحسنت فكانت أداة الإنسان فى سلمه وحربه . , " فأعينونى يقوة اجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال، انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا " سورة الكهف ٩٥ — ٩٦ .

" ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير ٠.ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير" سورة سبأ آية 10- 12 .

وبالاستمرار فى الآية السابقة نجد فضل الله على الإنسان حيث علمه مما يشاء ما لم يكن يعلم .

" يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " سورة سبأ آية ١٣ .

وعلى الصناعات الحديدية وبواسطة ما !كتشفه الإنسان من معادن أخرى ووجود البترول فى باطن الأرض اخترع الإنسان السيارات والدبابات والمصفحات والاسلحة وذلك ظاهر فى قول الله عز وجل . " والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا " سورة العاديات ١-٥ ٠

نم وجه الله الإنسان إلى تسخير البحار والأنهار وجعل له فيها منافع زينة ومتاعا ، يرتوى من عذب النهر ويستخرج من البحر يتخذها زينة ومتاعا ، يرتوى من عذب النهر ويستخرج من البحر الملح ، ويسخر صفحة كل منهما لفلكه وسفنه التى تحمل تجارته وتكون وسائل النقل والتنقل والسفر ، مما ساعد على تقدم الإنسان على مر الزمن ، وإن البواخر التى تمخر عباب البحار والأنهار والتى قربت البعيد من البلدان ووصلت القارات ببعضها والأقطار لخير دليل على فضل الله على عباده ، وإنا لنسوق الآيات على سبيل المثال اعترافا بفضل الله عز وجل : " وأرسلنا الماء مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم " سورة الانعام آية ٦ . -

"وَهُوَ الّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "14"" سورة النحل آية ١٤ ٠ " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " سورة الفرقان آية ٥٣ .
"أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "61"" سورة النمل آية ٦١٠
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "12"" سورة فاطر آية ١٢ .
"اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "12"" سورة الجاثية آية ١٢ . " والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا " سورة الذاريات الآيات من 1: 4 " احل لكم صبد البحر وطعامه مقاعا لكم " سورة المائدة آية ٩٦ ٠ والأرض وما حوت من جبال وجنات معروشات ومعادن فى بطنها ، والبحار بما فيما من لآلىء وثمين الأحجار وما عليها من مواخر وبواخر وفلك تجرى بأمر الله ، والأنهار وما تحوى من ماء عذب فرات ولحما طريا وما يجرى على صفحاتها من ذوات الشراع والأنعام والدواب ، كل ذلك أصبح ضئيلا أمام مطامع الإنسان واحتياجاته ومدنيته ، فاتجه إلى السماء يكشف مكوناتها ويكتشف أسرارها ويستطلع أخبارها ، فسخرها لمطالبه،ولم يكن ذلك إلا بوحى من الله العلى الكبير ٠
وباكتشاف الإنسان أسرار السماء ، واطلاعه عليها لم يعلم من قبل صنع الطائرة والمنطاد الذي اكتشفت بقاعا فى الأرض لم يكن قد وصل اليها من قبل ووفرت الزمن فقربت البعيد ووصلت بين الامم ، ثم اكتشفت القوة الطاردة والقوة الجاذبة

فأدخلها فى علومه ، ومنها عرف السالب والموجب ، ثم توصل إلى الذرة ودرس الهواء والأجواء ، وجاب الفضاء · ومازال ولا يزال يكتشف ويخترع ويجدد ، وفى كل يوم تظهر له آفاق جديدة من العلوم والمعارف ، حتى سخر موجات الأثير فاخترع الاتصال السلكى واللاسلكى .

ولو تحققنا ودققنا ومحصنا النظر وسرحنا بالفكر لوجدنا أن ذلك كله بفضل ما أوحى الله لأنبيائه وما صنع الله من معجزات على أيدى هؤلاء الأنبياء ، وكل ذلك كان تعليما للإنسان وتوجيها .

فلو نظرنا مثلا إلى سورة الجن لوجدنا من آيات الله عجبا ، فقد أوحت تلك الآيات المبينات إلى الإنسان بصورة. رائعة من الاتصال إلهوائى " اللاسلكى " وقد ضرب الله مثلا فكان أصدق مثلا ، فقد جاء على لسان الجن عندما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا" وفى سورة الحجر جاء قوله تعالى : " إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين " .

وما وحى السماء إلى الأرض إلا قدرة للرحمن عز وجل جعلها لعباده مليئة بالدروس التى توجههم إلى التفكير والتطلع اللذين تعقبهما النتيجة ، وما النتيجة إلا عمل ، وما نزول جبريل إلى الأرض بالوحى على النبى إلا درس السماء إلى الأرض "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ"·وإسراء النبى محمد صلى اس عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الإقصى آية من الله توجه الإنسان إلى أن يبحث عن السرعة ، ولعل الدرس الوحيد فى حادثة الإسراء هو الدليل على أن هناك فى علم الله سرعة تفوق النفاثة ، بل سرعة الصوت والضوء ·

" سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " سورة الإسراء آية ١ ·

وعروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وكونه قاب قوسين أو أدنى ودنوه وتدليله ليعجز المخترعين عن الوصول إلى المكان الذى وصل صلوات الله عليه اليه .
".... إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "4" عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى "5" ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى "6" وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى "7" ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى "8" فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى "9" فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى "10" مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى "11" أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى "12" وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى "13" عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى "14" عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى "15" إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى "16" مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى "17" لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى "18"" سورة النجم الآيات من ١ - ١٨ .
وقصة الإسراء والمعراج تتضمن حسبما روت زوجة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يبيت عندها ليلتئذ أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى وعرج به إلى السماء ونزل وصلى باأنبياء، ورجع إلى مكانه ، ولا يزال مكانه دافئا ٠
ولن ينحنى مخترعو سفن الفضاء أمام البراق والمعراج فحسب ٠ بل يجب عليهم أن يحنوا الرؤوس أمام قصه سليمان عليه السلام والهدهد وعفريت الجن وملكة سبأ ، لأننا رأينا أن تلك المخترعات عجزت أن تصل بسرعة طيرانها إلى السرعة التى أحضرت بها ملكة سبأ بين يدى سليمان عليه السلام ، ونترك القرآن الكريم يقص علينا القصص فى قول الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠" ... وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ "20" لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ "21" فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ "22" إِنِّي وَجَدْتُ امرأة تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ "23" وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ "24" أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ "25" اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "26" قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ "27" اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قول عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ "28" قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ "29" إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "30" أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ "31" قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ "32" قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ "33" قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ "34" وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ "35" فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ "36" ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ "37" قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ "38" قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ "39" قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ "40"" . سورة النمل الأيات من20-٤٠ .

ان القصص القرآنى قد صور فى بلاغة ما كان بين سليمان والهدهد ، وسرعة وصول الخطاب وسرعة الرجوع بالهدية ، وأعجز ما قص علينا القرآن المنافسة بين السرعة التى حددها عفريت الجن الذى أخذ على نفسه إحضار عرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه ، والسرعة التى حددها الذى عنده علم الكتاب الذى جاء بالعرش بين يدى سليمان قبل أن يرتد طرفه ، وإن ذلك ليلجم الذين قالوا إنا ردنا الفضاء فكنا أسرع ، وجبنا السماء فكنا أرفع ، وإن إعجاز تلك القصة لهم لأوقع ، فمن

ينكر قدرة الله فليعلم أنه عنده من الجن والانس ما هو قائم بأمره ولأمره و الله غنى عن العالمين ٠

ولم يكن اتجاه الإنسان إلى السماء عفوا أو بطريق الصدفة: إنما كان ذلك توجيها من الله الذى سخر السموات والأرض للإنسان، والذى عرف ذلك الاسان بالسماء فى محكم آياته وهو العليم الحكيم الذي أمر عباده بالتفكر والتدبر فى السموات والأرض ،ذلك بأنه ذكر السموات قبل الأرض في أكثر الآيات :

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الألباب "190" "سورة آل عمران ٠

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ "1" " سورةالانعام آية١٠ "فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآَيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ "35"" سورة الانعام آية ٣٥ .

"خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ "5"" ٠ سورة الزمر آية ٥ ٠

"والسماء رفعها ووضع الميزان" سورة الرحمن آية ٧ .

"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ "16" وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ "17" " ٠ سورة الحجر الآيتان ١٦و ١٧٠

" أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" سورة الأنبياء آية ٣٠ ٠ : واتجاه الإنسان إلى السماء جره إلى دراسة بروجها وما زينها به الله من شمس وقمر ، فربط حياته بالأفلاك والكواكب والنجوم والشمس والقمر، وهن اللائى جعلهن الله للإنسان مسخرات، فقد عرف أن الشمس التى تمده بالنور نهارا والدفء والحرارة، كما تمده بالفيتامينات والأشعة اللازمة لحياته، كذلك تمد زرعه

بالفيتامينات والكلوروفيل الذى يعد عاملا من عوامل إنماء زرعه، حيث يكون هناك التمثيل الضوئى " الكلوروفيلى."
وكذلك عرف الإنسان النجوم التى اهتدى بما فى ظلمات البر والبحر ، ومنها تعلم اختراع البوصلة البرية والبحرية ومن اختراع البوصلة والنجوم درس التقلبات الجوية فتعلم فن الإرصاد ، ثم حاول وفكر فى الصعود إلى القمر وتسخيره لأمره، كما سخر الأرض؛ وإن صناعة الأقمار الصناعية واختراع الصواريخ لكفيل أن يرينا كيف يفكر الإنسان فى اختراق السماء والخوض فى غمارها وأمله فى الوصول إلى المريخ لكى يكتشف ويستطلع ما خفى عليه، والله الذى وهب الإنسان العقل المفكر واللطيفة المدبرة بفضل نعمه . "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "97"" سور؛ الانعام آية ٩٧ ٠
" هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب " سورة يونس آية ٥ .
"وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" سورة النحل آية ١٦ .
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون " سورة الأنبياء الآيات ٣٢ ، ٠٣٣" وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا " سورة النبأ الآيات 12 / 14 وان كا قد تحدثنا عن السموات والأرض فلا يفوتنا التحدي عما بينهما ، و لنأخذ الهواء مثلا ، فان إلهواء الجوى بما يحوى من اكسوجين وهو ضرورة لازمة لحياة الإنسان والحيوان والنبات ، وبما يضم من ثانى أكسيد الكربون الذى يعد ركنا أساسيا فى تكوين المواد النشوية وعاملا هاما فى الحد من حرارة الجو ، كل ذلك وما حوى الهواء من غازات أخرى كالنيتروجين والأزوت وغيرها تهيئة لأسباب حياة الإنسان فى الأرض..
وأن استخلاص الأوكسيجين وثانى أوكسيد الكربون وغيرهما من الغازات كان عاملا من عوامل فتح الميادين الصناعية فأقيمت

المصانع وأنشئت المؤسسات واشتعلت الأيدى العاملة ، مما أوصل الإنسان إلى مراتب التقدم والحضارة ٠

ومن السموات والأرض وما بينهما تعلم الإنسان العلوم الكثيرة كعلم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا ، ومن عدد السنين والحساب ٠ أرخ وسجل ، ومن بحر النعم الإلهية تفنن واخترع وأقام وصنع،فسبحان الرحمن الذى علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ٠

لمحة لا بد منها احقاقا للحق ، إن ذلك الإنسان فى كثير من الأحيان لم يتخذ هذه النعم أداة لخير الإنسانية، بل اتخذها أداة للشر والحروب والدمار ، فهذه القنبلة الذرية والأسلحة النووية كان يمكن توجيه طاقتها للسلام ومنفعة الإنسانية ، ولكن الإنسان اتخذ مما علمه الله طريقا لإيذاء بنى جلدته ، وفناء لأصله ، وتخريبا لما شيدت يداه، فكان كالجمل ذى الخف الذى إذا جر المحراث لحرث الأرض يبطط ما حرثه ٠

لم يكتف الإنسان بمحاربة بنى جلدته فحسب ، بل حارب ربه واتخذ من آلاء الله سلاحا لحربه فلم يخش الله وران على قلبه فكفر وألحد وأنكر وجود الله ونسى قدرة الله ونسبها إلى الطبيعة ونسى ان يسأل نفسه : من خلق هذه الطببعة ؟ فكان قلبه أغلظ من الحجارة ، وكانت الحجارة أعرف منه بربها ٠

"وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "74"" سورة البقرة آية ٧٤ .

نسى الإنسان عبادة ربه وعبد شهوته . وركع لنزواته خلف عدوه الشيطان اللدود وابتذل له حتى أذل عنقه فارتكب ما حرم عليه وترك ما أحل له حتى أصبح لا هم له إلا إشباع رغباته الجسدية وطبيعته الترابية ونسى ما زود به من لطيفة ربانية وطببعة روحانية فزبن له سوء عمله ٠

"زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ

ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ "14"" سورة آل عمران آية ١٤ ٠

ولو علم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى أحل له الطيبات من الرزق ، ولم يحرم عليه الانتفاع بالنعم والتمتع بالآلاء ، بل سخر كل ذلك لأمره تفضلا منه سبحانه وتعالى ، ولكن ذلك فى حدود ما أحل الله وما ينفع الإنسان ما سار وراء شهواته وما عبد نزواته ٠

"يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ "31" قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " سورة الأعراف آية 31 .

وإن الله يحب أن يرى نعمه عى عبده ظهرة وباطنة ، ودليلنا على ذلك أنه سخر كل شىء لخدمة الإنسان ولرفاهيته ، ولكن هذا الإنسان كفر بأنعم الله فكان لربه خصيما ، ونسى من خلقه وهيأ له أسباب الحياة خلقه لحكمة وأكرمه ، حتى أمر الملائكة ، أن تسجد له وكان بسببه ان طرد إبليس وذلك زيادة فى التكريم ولكن ٠٠٠" إنه كان ظلوما جهولا " ٠

وإن ما أجملنا فى هذا الفصل ، قد عزمنا بمشيئة الله العودة إليه تفصيلا فى كتاب جديد يحوى بحوثا مستفيضة فيما وصل إليه الإنسان من رقى وحضارة وتقدم ، وإشارات القرآن إلى هذا التقدم والرقى قبل أن يحدثا أو يعرفهما الإنسان ، وأدعو الله التوفيق كما أدعوه " رب زنى علما " .

الباب الثالث المجتمع

الفصل الأول الأسرة في الأديان

الأسرة هى نواة المجتع ، فاذا ما صلحت صلح المجتمع ، ولو فسدت لفسد المجتمع ، فإذا ترابطت الأسرة وساد أفرادها الحب والإخاء كانت نواة لمجتمع صالح تسوده المحبة ويعمه السلام ويعيش فى أمن ورخاء · وإذا تفككت كانت نواة لمجتمع مفكك تسوده البغضاء والشحناء ، وبذا يختل نظامه ·
ولما كانت الأسرة تتكون من أفراد تبدأ بالأب وهو الزوج والأم وهى الزوجة ، ينسلان أولادا ذكورا وأناثا ، فقد آثرنا بعد بيان حالة الفرد قائما بذاته أن نعرض حالته فى أسرته ، سواء كان زوجا أو زوجة أو أولادا ذكورا كانوا أو إناثا ، ولما كان الزوج والزوجة هما حجرى الأساس فى الأسرة ، وهما البذرة الأولى التى نبتت منها الشجرة التي تفرع منها المجتع ، وذلك لقول الله عز وجل ···
" والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات، أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون" سورة النحل آية ٧٢ ·
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "13"" سورة الحجرات آية ١٣·
كان حقا علينا ان نتعرض لمركز كل من الزوجين فى كل دين سواء كان دينا وضعيا أو سماويا ، فلو تتبعنا ديانة البراهمة والبوذيين وقدماء المصريين والديانات الأخرى لوجدناها أنها قد اهتمت بالرجل فقط ولم تذكر المرأة إلا شذرا ، حيث لم يفرض عليها واجبات إلا من قبل زوجها وكان قاسيا فيما فرضه من واجبات فى الوقت الذى لم يتعين لها حقوق ، ولو رجعنا إلى الديانات الوثنية لوجدنا أن المرأة كانت متاعا يورث ·

فقد كان في الجاهلية قبل الإسلام الولد يرث أمه، كما كان له ن ينكح زوجة أبيه ولم يكن للمراة فى ذلك العهد أن سلمت من الوأد وهى طفلة إلا سجن البيت والرق وهى زوجة .

وإذا رجعنا إلى الأديان الكتابية قبل الإسلام نجد أن اليهودية كان تعدد الزواج فيها مباحا إلى غير حد محدود أو عدد معدود ، ودون قيد أو شرط ، بل كان الرجل إذا ما طرأ على عاطفته تغير من ناحية المرأة يتركها إلى غيرها دون تطليق أو تسريح بعد أن يكون قد أنجب من الأولى ، وتتكرر هذه الزيجات ويتكرر إنجاب البنين والبنات ، وتقوم الكراهية والأحقاد ، وبذلك انقسمت الأسرة الواحدة إلى أسباط يعادى كل سبط أخيه ، مما نتج عنه أن تفرقت كل أسرة إلى أسباط وكل سبط إلى جماعات وكل جماعة إلى فرق وأحزاب ، وكل حزب إلى دويلات ، فكان مجتمعا مفككا أدى به التفكك أخرا إلى انقسام اليهود إلى دولتين إحداهما سميت بدولة يهوذا والأخرى بدولة إسرائيل ، وما يهوذا إلا من نسل إسرائيل وبذلك يكون البيت قد انقسم على نفسه فخرب ٠

وإذا تتبعنا المسيحية الحالية بدينها الجديد وعقائدها الدخيلة على الأصل الذى جاء به السيد المسيح، نجد أن الكهنة قد استحدثوا من القوانين ما جعل الزواج سجنا أبديا يصدق فيه قول الفيلسوف المسيحى الانجليزى الذى نقد القواعد الكنسية " بنتام " BiNTHAM فى كتابه أصول الشرائع الذى ترجمه إلى العربية الاستاذ احمد فتحى زغلول " ولكن ان اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل عنه حتى لو حلت فى قلوبهما الكراهية الشديدة مكان الحب لكان ذلك أمرا منكرا لا يسيغه أحد من الناس ٠ على أن هذا الشرط موجود بدون أن تطلبه المرأة ٠ إذ القانون الكنسى يحكم به فيتدخل بين الزوجين حال الزواج قائلا لهما : انكما تدخلان سجنا سيحكم غلق بابه ، ولن يسمح بخروج احدكما منه وإن تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء " ٠

وقد أراد الكهنة من هذا القيد بين الزوجين والتصاقهما ببعضهما حتى ولو بلغ بينهما التنافر حدا يستحيل معه التوفيق أن تصبح الحياة الزوجية شيئا غيرمرغوب فيه ، وبذلك يكون الزواج عند الشاب المسيحى أمرا لا يقبل عليه إلا مدفوعا تحت ظروف وإذا اندفع إليه تصبح الحياة الزوجية سجنا لا يطاق ويصبح أفراد الأسرة جميعا مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج وشر الكوارث في جميع مناحي حياتهم الأدبية والخلقية ، وبذلك يخلو الجو لهولاء الكهنة أصحاب النزوات والشهوات فيرتعون وتكثر العشيقات والخليلات والعشاق والأخلاء فتكثر الخطايا فيروج سوق الاعترافات والغفران التى تباع صكوكه على يد هؤلاء الكهنة٠

فالمسيحية تعرف الزواج ولا تعرف التفرقة ، حتى ولو كانت التفرقه واجبة ومحتمة ، وهى ترجع إلى ثلاثة مذاهب : الكاثوليكى والأرثوذكسى والبروتستاستى، فالمذهب الكاثوليكى يحرم الانفصال تحريما باتا ولا يبيح الطلاق مطلقا ، وإن اباح التفرقة الجثمانية بين شخصى الزوجين" ، مع اعتبار الزوجية قائمة، ولا يحكم بهذه التفرقة إلا فى حالة خيانة أحد الزوجين للآخر ، وهنا يحرم على للزوجين أن يتزوجا أو أن يطلق ، ويعتبر ذلك تصريحا غير مباشر بارتكاب الفحشاء ما ظهر منها وما بطن ، اعتمادا على ما جاء إنجيلهم المسمى بإنجيل متى الإصحاح التاسع عشر الآية السادسة، "" فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان "" والمذهبان الأرثوذكسي والبروتستانتى يبيحان الطلاق فى بعض حالات ، من أهمها الخيانة الزوجية و لكنهما لا يحلان للرجل أو المرأة المطلقان أن يتزوج أو تتزوج بعد الطلاق ، وذلك اعتمادا على ما ورد فى إنجيل متى الأصحاح الخامس الآية ٣٢ ٠

" وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى .

ومن تزوج مطلقة فانه يزنى بها ٠

والمسيحية لا تقيم وزنا لطبيعة الإنسان الدنيوية ، حيث لا تجعل للعاطفة أي قيمة ، ولذا جعلت أهم شىء بالنسبة للإنسان سجنا أبديا ينفره من إقامة الأسرة ويجعله يهرب إلى الدير للترهب أو التبتل ، إن كان عنده شىء من الخشية أو الخوف من الله، وان لم توجد الخشية فقد تركت له الحبل على الغارب ليعيث فى الأرض فسادا ٠ فاذا فسدت الزوجة ولم ترع لعقد الزواج حرمة ولا ذمة واندفعت فى تيار الفواحش فلا يجوز الانفصال ، وإذا حكم بالانفصال فانه لا يجوز للزوج أن يتزوج بغير الزوجة التى خانت العهد ولم تحافظ على ما أؤتمنت عليه ، وهكذا الحال يكون مع الزوجة التى فسد زوجها وأصبح غير أهل لطاعتها أو فقد مقومات القوامة الزوجية . وبمكننا من هذا المثال أن نضرب أمثالا توضح للقارىء مدى الخيانة الكبرى والجريمة العظمى التى ارتكبها الكهنة فى حق الأسرة والمجتمع حتى نفر معظم الشباب من الزواج واعتبره قيدا أبديا لا يمكن الفكاك منه ، مما كان له أسوأ النتائج وأوخم العواقب .
إذا تقدم أحد الشباب لأسرة من الأسر أعجبها منظره ، وأصله وحسبه ومركزه فزوجته إحدى فتياتها نم ظهر بعد ذلك أن ذلك الزوج. مصاب بخلل فى قواه العقلية وتصرفاته مصدر من مصادر الخطر على من يعاشره أو يخالطه ، أو كان مصابا بمرض معد يكون وبالا على من يقاسمه فراشه ، أو كان به عقم أو فاقدا لمقوماته الجنسية ، فإن المسيحية لا تسمح بالطلاق ولو كان قيام هذا الزواج شرا مستطيرا على الزوجين والذرية ، وإن سمحت بالطلاق فإنها لا تسمح للزوجة المجنى عليها أن تتزوج ، وان كانت مجبرة على الطلاق للأسباب السابقة . ويمكن تطبيق المثل السابق فى حالة ما إذا أخطا الحظ وأوقع شابا فى زوجة " خضراء الدمن حسناء فى منبت سوء " فلا حيلة لهذا الشاب إلا أن يهجر بيته ويدخذ من أماكن اللهو والفجور وكرا وعشا . ولما كانت الحالات التى ضربنإ لها أمثلة تحدث فى كل يوم وليلة ، وما دام المسيحى إنسانا وطبيعته من طبيعة البشر، فمن

العسير أن يسير المسيحى على تعاليم المسيحية المستحدثة ، فاضطر إلى أن يستحدث قوانين تبيح له حل عقدة الزواج وتفك عنه أغلإله ، وتعفيه من أسرار الكنيسة ، وبذلك يكون قد تخلى عن السر السابع من الأسرار الكنسية ،ففر وترك الأسرار تنعى الكهنة الذين استحدثوها ٠ ولقد تعرض كثير من رجال الفلاسفة المسيحيين لنقد القواعد الكنسية ، وخاصة نظام الزواج ، وأشرنا من قبل إلى قول أحدهم ، وهو الفيلسوف الانجليزى " بنتام " ولم يكن الفلاسفة وحدهم الذين خرجوا على النظام الكنسى فقد أباح القديس أوغسطين أن يتخذ الرجل سرية مع زوجته إذا عقمت وثبت عليها العقم ، كما اعترضت الكنيسة بأبناء شرعيين لشرلمان من عدة زوجات ، وقد بقى إعتراف الكنيسة بتعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر ٠ وإن اشهر حادثة زواج وطلاق فى المسيحية على مسمع ومرأى من الكنيسة ورجال الكنيسة على اختلاف مراتبهم ومذاهبهم هى حادثة طلاق رئيس وزراء انجلترا الأسبق " سير انتونى إيدن " لزوجته التى هجرته وهربت مع عشيق لها إلى أمريكا، وقد تزوج إيدن بغيرها وهى تحيا معه ، دون أن نسمع أي اعتراض من الكنيسة وكهنتها الذين قاموا بثورة عاتية ضد ادوارد ادامن الملك الاسبق لانجلترا الذى تزوج خليلته المطلقة ، والتى كان يعاشرها وهى فى عصمة زوجها دون اعتراض من الكنيسة؟ على تلك الحياة المحرمة ، ولكن الثورة قامت تقتلع الجذور وتحطم الأسوار حينما طلقت العشيقة من زوجها وأراد أن يتزوجها الملك زواجا شرعيا ، وكان للثورة التي قامت بها الكنيسة فى وجه ادوارد الذى استمع لنداء قلبه وسكتت عن ايدن الذى كان يتولى أكبر منصب فى الدولة ، نزيجة حتمية بأن فضل ادوارد مطالب الطبيعة وترك العرش للكنيسة ٠ إذن فنظام الكنيسة يعلو تارة وينخفض تارة أخرى ، ما جعل الناس لا تعترف به ولا تقره ، لأنه يقيد من الحريات حسب الأهواء ، ويضع الأسرة فى مهب الرياح، ولذا نجد محاكم الغرب تركت

ذلك النظام خلف ظهرها وهى تحكم الطلاق كل يوم وتبيح الزواج كل لحظة دون النظر إلى ما استحدثه الكهنة من قيود وأغلال . فجميع الأديان ، ومنها ديانة البراهمة وبوذا وعباد الوثن والمجوس ، حتى المبادئ الوضعية قد سايرت الحياة الواقعية وجارت الطبيعة البشرية فى شئون الزواج ، ولكن كهنة المسيحيين أبوا ان يفرطوا فى مفتاح السجن لأن فى ضياع هذا المفتاح ضياع لسلطتهم . والذين تمسكوا بالنظام الكنسى ، غاب عنهم أو لم يغب عنهم ، نسوا أو تناسوا انحدار الأسرة وانقسام البيوت فليعلموا أن اتخاذ الزوجات للعشاق أصبح من مستلزمات العصر الحاضر ، واتخاذ الأزواج للخليلات أصبح من المدنية ، وهجر كل من الأزواج والزوجات منازل الزوجية أصبح ضرورة من ضروريات الحياة ، كل ذلك اوحت به النظم الاستبدادية التى وضعها هؤلاء وأولئك من الذين قاموا على أمور المسيحية ، ولقد أصبح منزل الزوجية مهجورا وخرابا بعد أن كثرت الخلافات وهربت الزوجات مع عشاقهن والمنزل الذى لم يخرب أصبح عشا للغرام تتناجى فيه العيون وتتلاقى فيه المحرمات وتزين جدره صور الخلاعة فى أجلى معانيها ، وبذلك أصبحت الأسرة فى عرف المجتمع المسيحى خرافة ، واختلطت الأحساب والأنساب وأصبحت علاقات النسب الصحيح بين الآباء والأبناء موطنا للشك وعرضة للريبة الشىء الذى تطور فيما بعد لعدم اعتراف الآباء بأبنائهم ٠ وإذا كانت هذه هى مواقف الأديان من الزواج ، فلنعرض موقف الإسلام من هذه المشكلة الإجتماعية الخطيرة التى تعتبر أساسا لبنيان الأسرة والمجتمع ، فبسلامتها تسلم الأسرة ، وبصيانتها تصان الكرامة وإلا فقل سلام على الأسرة والمجتمع..

الفصل الثاني الأسرة في الإسلام

لقد اعترف الإسلام بالأسرة اعترافا ضمنه إن الأسرة هى الدولة الصغيرة ، فيما يتعلم الإنسان لغته ، وتتربى فيه روح الإنسانية ، ويشب على الروح الإجتماعية ، فينمو ويترعرع على الوفاء ورعاية الحرمات والايثار وحب الخير والتعاون والتآزر . ·

لذا أحاط الإسلام الأسرة بضمانات وسياج متين ، بأن فرض على كل عضو من أعضاء الأسرة واجبات ، كما شرع له حقوقا ، ففرض واجب الطاعة على الأبناء نحو آبائهم وأمهاتهم ، وذلك وارد فى قول الله عز وجل : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدبن إحسانا " سورة الأنعام آية ١٥١ ·

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا " سورة الإسراء آية ٢٤ ·

ويبين الله فضله على الإنسان بفضل والديه عليه حتى يشكر الإنسان ربه على نعمة الوالدين : " ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله تلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى لإنى تبت اليك وإنى من المسلمين " . سورة الأحقاف آية 51

"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ "14" وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "15"" سورة لقمان

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولد جاء يشكو أباه الذى يريد منه مالا ، فقبض الرسول على الولد من لبابته وقال له " أنت ومالك لابيك " وجاء رجل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أحق بصحبتى يارسول الله ؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم : " أبوك وأمك " ٠

وكما وصى الله الإنسان بوالديه حسنا ، كذلك أوصى الله الوالدين بأبنائهم خيرا ، وامرهما بتعليمهم وتربيتهم والأخذ بيدهم إلى مواطن العزة ، والسير بهم على منهج سليم يصل بهم إلى أحسن المستويات ، ولذا قد رأينا فى القرآن مثلا لقمان يعظ ابنه : "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "13"" سورة لقمان آية ١٣

وقد وجه الله سبحانه وتعالى الآباء إلى المحافظة على أبنائهم حتى جعل مسئولية انحراف الأولاد واقعة على آبائهم .

" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " ٠

وقد جعل الله الأولاد من أحب المتاع إلى النفس في الدنيا فقال تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " ٠

وقد كان الناس فى زمن الجاهلية يوئدون البنات ويتخلصون من الأولاد خوفا من ’لفقر فنهى الله عن ذلك بقوله تعالى : "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم " سورة الإسراء آية ٣١

" قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم " سورة الانعام آية . " 140

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "12"" سورة الممتحنة وقد فرض الإسلام على الآباء أن يعلموا أولادهم الصلاة في سن السابعة ، ويعاقبوهم على تركها فى سن

العاشرة ، كما فرض عليهم تعليمهم القراءة والكتابة والفروسية ، وأن يفتحوا أمامهم أبواب المستقبل بوضع جميع الإمكانيات والوسائل التى تجعل منهم رجالا للمستقبل ينفعون أنفسهم ويعملون جنودا فى ميادين الوطنية ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " علموهم ولا تورثوهم " وفرض على الآباء أيضا أن يكونوا حكماء مع أولادهم ينشئونهم على الشجاعة الأدبية وحرية الرأي ، وتدريبهم على التصرف فى شئونهم الخاصة والعامة وتسليمهم مقاليد الأمور حتى يعرفوا أنهم أصبحوا أهلا لذلك ٠

وإن أكبر مثل للحرية الشخصية ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع إحدى البنات ، والبنات هن عرض الأب وشرفه ، وبشرفهن يتعلق شرف الأسرة جميعها ، ومع هذا فقد جعل الإسلام لهن الحرية فى اختيار أزواجهن ، فاذا جاء وقت زواج البنت وهى بالغة عاقلة ، كان لها حق اختيار الزوج الذى تريده اختيارا حرا لا إكراه فيه ، على أن يشترك معها وليها بالمشورة والرأي فيمن تختاره ٤ولكن ليست المشورة هنا معناها إجبارها على زوج معين وإن اختار هو زوجا لا يتم زواجها إلا برضاها والا فالزواج باطل .

وقد روى فى هذا الشأن أن فتاة ذهبت إلى عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها تشكو إليها أن أباها أراد تزويجها من ابن أخيه لرفع خسيتها ، فقالت السيدة عائشة للفتاة انتظرى حتى يحضر النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما حضر صلوات الله عليه وسلامه ، ذكرت له الفتاة ما ذكرته لأم المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام " الأيم احق بنفسها من وليها " ٠ .

وقبل الاستطراد فى حقوق باقى أفراد الأسرة وهما الزوجان ، لأنهما كما قدمنا اللبنتان الأساسيتان فى بناء الأسرة ، فنعرض المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام ، فقد استحدث الإسلام فى هذا الشأن ما غفلته الشرائع الأخرى على أساس

متين من العدل بين الرجل والمرأة والمساواة بين الذكر والأنثى ٠
وقد قضى الإسلام على التفرقة بين الرجل والمرأة فى المرتبة الإنسانية ، كما ساوى بينهما أمام القانون فى الحقوق والواجبات ، وقد بين الله فى محكم آياته تلك المساواة بين الذكر والأنثى فى الدنيا والآخرة .
"فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ" سورة آل عمران آية ١٩٥ . "لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ" سورة النساء آية ٣٢ .
وإن أوضح نقطة فى المساواة بين الرجل والمرأة ما ورد فى قول الله فى حق تكريم الله للإنسان فى قوله عز وجل فى سورة الإسراء : "ولقد كرمنا بنى آدم " فلم يقل عز وجل لقد كرمنا الرجل فقط أو لقد كرمنا المرأة فقط ، بل كان التكريم شاملا لا تفرقة فيه بين ذكر وأنثى .
وكذلك لم يفرق الله بين الرجل والمرأة فى الجزاء ، فعندما اغوى الشيطان آدم وزوجته وأوقع بهما فأكلا من الشجرة المحرمة كان العقاب واقعا على الجنسين ، حيث قال تعالى فى سورة طه : "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى "121"" ٠
وكما أباح الإسلام للرجل العلم أباح للمرأة أن تتعلم العلم بجميع أنواعه ومراحله ، وكما جعل العلم فريضة على الذكر جعله فرضا على المرأة، وفى هذا يقول الرسول صلوات الله عليه " العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ٠
وكذلك أباح الإسلام للمراة مساواة الرجل فى القيام بأى وظيفة ، وفى سبيل ذلك أباح الاختلاط بالرجال فى الحياة العامة ، على أن لا يخرج هذا الاختلاط عما قرره الكتاب وقررته السنة . والإسلام يحتفظ للمراة بشخصيتها المدنية ، وبأهليتها فى تحمل الالتزامات وأعطاها كل الحرية فى التعاقد ، سواء

كان التعاقد بيع أو شراء أو هبة ، أو وصية ، كما أقر إدارة المرأة لأعمالها والاشراف على مختلف شئونها الإقتصادية ، وبذلك كان حتما على المرأة أن تختلط بالرجال ٠وإن تاريخ المرأة المسلمة الحافل بالأمجاد وما أدته من جليل الاعمال فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين مدى احترام الإسلام للمراة ، فأسماء بنت أبي بكر التى كانت تعمل محل فرقة استطلاع كاملة حيث كانت تنقل الأخبار والغذاء إلى رسول الله وأبيها فى غار حراء أثناء هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعائشة بنت طلحة حفيدة أبي بكر ، التى كانت تناضل الرجال بالسهام والنبال لخير دليل على إقرار الإسلام للمساواة بين الرجل والمرأة وتقليدها مراتب الشرف وأعظم النياشين ، ولقد ورد بما لا يدعو إلى الشك أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الرجال والنساء فى الحروب وساوى بينهن وبين الرجال فى الغنائم ، وذلك ما فعله مع كعيبة بنت سعد فى غزوة خيبر ، وتكريم النبى صلى الله عليه وسلم للمراة لم يقف عند كعيبة ، بل كان لكثيرات منهن ، فها هى أمية بنت قيس الغفارية التى أركبها النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فى إحدى الغزوات وقلدها قلادة ظلت تتقلدها حتى ماتت ووضعت معها فى قبرها بناء على وصيتها ، وكم من سيدات خضن المعارك حاملات السيف ممتطيات ظهور الخيل صائلات جائلات فى ميادين الحرب بين القيام على خدمة الجنود وطهى الزاد وتضميد الجرحى و مواساة المكلوم ٠

والإسلام حين ساوى بين الرجل والمرأة وأباح الاختلاط بين الجنسين ، اشترط عدم الخلوة بين الرجل والمرأة ، وتحشم المرأة وستر جميع أجزاء جسمها ، حتى لا تكون هناك فتنة أو ضرر خلقى ، وأن تكون حركاتها متوجة بتاج الجد ، فلا يبدر منها ما يبعث على الإغراء أو يثير الغريزة ، وأن تكون، جادة فى حديثها حتى لا يطمع الذى في قلبه مرض ، وان تغض المرأة من بصرها ، كما أوجب على الرجل أن يغض من بصره ، وقد أوردنا

الآيات الآمرة بذلك فى فصل : " الإنسان فى مدرسة الإسلام " من هذا الكتاب .
ولو قارنا بين موقف الإسلام من المرأة بعد اليسير الذى سردناه ، وموقف الأديان الأخرى منها ، لوجدنا أن الإسلام قد أعلى قدرها واحتفظ بجميع حقوقها أمام القانون ٠
والزواج فى الإسلام لا يفقد المرأة شخصيتها ولا أهليتها فى التعاقد والتملك، فتظل المرأة بعد زواجها لها حق البيع والشراء والرهن والتنازل والوصية ولها ثروتها الخاصة المستقلة الغير خاضعة لسلطة زوجها ، ولا يعطى الإسلام بل يحرم على الزوج ان يأخذ شيئا من مالها إلا برضاها ، على أن يكون رضى خالصا من كل ضغط أو إكراه ، وقد رسم القرآن الكريم الخطوط العريضة للمحافظة على ثروة المرأة وحقوقها فى قوله. تعالى : "وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا" سورة البقرة آية ٢٢٩ "وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا "20" وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا "21"" سورة النساء . "وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا "4"" سورة النساء آية 3 . وفى الوقت الذى أعطى الإسلام المرأة كامل حقوقها ، نجد أن القوانين الوضعية قد نزعت من المرأة جميع أهليتها المدنية ، ولنتخذ القانون الفرنسى مثلا ، لأنه أثر من آثار القوانين الرومانية ، ولأن مع الأسف أكثر البلدان الإسلامية تتخذ منه ركيزة لقوانينها ، فالمادة ٢١٧ من القانون الفرنسى تقرر نهاية القراءة أن " المرأة المتزوجة لا يجوز أن تهب ولا تنقل ولا أن ترهن ملكيتها بدون اشتراكها فى العقد أو موافقته الكتابية علم ذلك " ٠
كما أن الديانات السابقة على الإسلام ، سواء كانت وضعية أو سماوية ، لم تظهر للمراة حقوقها ، بل جعلتها شبه متاع مملوك للزينة والترفيه، وعاشت المرأة فى ظل القيود والأغلال

التى أدخلتها سجن الرق المدنى ، فلا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، أسيرة لإرادة الزوج ، ورهينة لشهواته ونزواته ٠

ولطبيعة المرأة التى ركب الله فيها إرهاف العاطفة ، وسرعة الانفعال والحنان الذى قد يزيد عن الحد المألوف مما يفقدها السيطرة الكاملة على نواحى حياتها ، لهذا السبب ولهذه الطبائع التى جبلت عليها المرأة ، والتى لم تسو على هذا المنوال عبثا ، بل خلقت على هذا الوضع حتى يكون لها من طبيعتها ما يتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية ، وهي الأمومة والحضانة على خير وجه ، فالأمومة والحضانة تحتاجان إلى عاطفة مرهفة وحنان رحيم أكثر مما تحتاجان إلى تفكر وإدراك . لهذه الأسباب جعل الإسلام القوامة للرجل على المرأة، لأن الرجل لا يندفع فى الغالب مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة ، بل تغلب عليه ناحية الإدراك والتفكير ، وهما الصفتان اللتان تحتاج إليهما القوامة والرياسة ، وبذلك يمكن القول أن صفات الرياسة والقوامة متوفرة فى طبيعة الرجل أكثر من المرأة .

ولم يعط الإسلام حق القوامة للرجل على المرأة للأسباب السالفة فحسب ، فالرجل فى الإسلام هو المكلف بشئون الأسرة إقتصاديا ، وهو المسؤول عن رعاية الأفراد أدبيا وروحيا ، وقد ألقى الإسلام كل مسؤلية على عاتقه ، يسأل عن كل فرد حتى يبلغ أشده ، وهو المسؤول عن تقوبم الاعوجاج فى الابن والزوجة وتعريفهما شئون دينهما ودنياهما ، لقول الله تعالى : " الرجال قوامون على النساء " سورة النساء آية ٣٤٠

إذن فالقوامة للرجل فى الإسلام قوامة رحيمة ، أوجب الإسلام على الرجل العدالة والمعاملة الحسنة والرفق فى علاج مشاكل الحياة الزوجية ، والتعاون مع الزوجة فى تدبير سياسة البيت ، وأخذ الأمر بيسر وهوادة ٠

ولم يعط الإنسان حق الطاعة للرجل مطلقة، بل أعطى المرأة الحق فى إلا تطيع زوجها إلا فى حدود المعقول والمألوف وقد

قال الله تعالى فى سورة البقرة آية٢٢٨ " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " ٠
وبذلك يكون الإسلام قد أعطى كلا من الرجل والمرأة حقوقا تقابلها واجبات ، والواجبات المفروضة على الرجل بينها النبى صلى الله عليه وسلم في حديثه : " خيركم ، خيركم لأهله " .
وقد أحاط الإسلام عقد الزواج بضمانات تكفل لكل من المتعاقدين حقوقه وواجباته ، فقد ورد أمر الله عز وجل ٠
" وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا " سورة النساء آية١٩.
ويوصى النبى صلى الله عليه وسلم الرجل بالمرأة خيرا فيقول : "النساء أمانة فى أعناق الرجال لا يكرمهن إلا كريم، ولا يظلمهن إلا كل لئيم"
وما رواه مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسدم فى وصيته للرجال بالنساء لخير دليل على أن الإسلام أعطى القوامة للرجل وقيده بقيود سيسأل عنها : " لا يترك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر " ٠
وكما أمر الإسلام الرجل بالقوامة الحكيمة أمر المرأة بأن تكون مطيعة لربها وزوجها ، قائمة على شئون بيتها فى أمانة واخلاص ووفاء ومحافظة على عرض ذلك الزوج ومإله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرأة إذا عبدت ، وصلت خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت الجنة بغير حساب" ٠
ولكى يكون عقد الزواج له ن القداسة والهيبة ما يجعل الزوجين يتمسكان به قد جعل الإسلام التروى فى اختيار الزوجة بأن يتخير الرجل امرأته وينتقيها على أسس هامة وصفات معينة اشترط الإسلام أن تكون متوفرة فى المرأة ، وذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن " فاظفر بذات الدين تربت يداك " وقد اهتم الإسلام بذات الدين لأن الدين يجمل المرأة جسمانيا ومعنويا ،و بذلك إذا نظر اليها زوجها

سرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه ، وإذا أمرها أطاعته ، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوقوع فى غير ذات الدبن فقال "إياكم وخضراء الدمن . قالوا ٠وما خضراء الدمن ؟ يارسول الله ؟ قال : الحسناء فى المنبت السوء " .
وكما أعطى الإسلام الرجل حق اختيار الزوجة، أعطى المرأة حق اختيار زوجها برضاها ، وأمرها ألا تتزوج إلا من تتوسم فيه الصلاح والتقوى ، وبذلك تضمن قواما عليها امينا على القوامة معطيا لتلك القوامة حقها ، وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى المسئولية الزوجية ، وأشرك معها الأبناء والخدم لكى تحتفظ الأسرة برباطها ولا يتفرق شملها فجعل الرجل راعيا فى بيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، والخادم راعيا فى مال سيده ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الرجل راع فى أهله، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، والخادم راع فى مال سيده ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . " ٠
لما كان من أهم مشاكل الأسرة مشكلة الطلاق التى اتخذها بعض الذين لا دين لهم تجارة وخرجوا عن الحدود المرسومة للطلاق ، ونسوا أن الطلاق لم يشرعه الإسلام إلا لأسباب قاهرة تخرج عن أرادة الزوجين ، مما جعل الخارجين على الإسلام يعيبون عليه هذا النظام ، ومن المؤسف ان يقلدهم فى ذلك بعض المسلمين فتشدقوا بما يقولون ، وبدلا من دراسة الإسلام على حقيقته والبحث عن جواهره و لآلئه انجرفوا فى تيار أعداء الإسلام فناصبوا الإسلام العداء واتهموه بالرجعية وبالى النظم ٠
ولما كان نظام الطلاق فى الإسلام نظاما شرع على خلاف ما اعتقد الذين يعيبونه وليس العيب فى ذلك عيب الإسلام بل العيب عيب المسلمين الذين لم يقفوا على جمال التشريع الإسلامي وكماله ، وعلى ذلك لم يفهموا حقيقة الإسلام ، ولا

أملك فى هذا المجال إلا أن أقول قول أحد الشعراء مع بعض التغيير حتى يتسق المعنى :

نعيب ديننا والعيب فينا وما لديننا عيب سوانا

وقبل أن أتكلم عن نظام الطلاق فى الإسلام، أريد ان أشير إلى ما سبق أن تحدثت عنه فى الفصل السابق من هذا الكتاب عن تحريم الطلاق فى الدين المسيحى وما جره من ويلات على الأسر المسيحية ، وما اضطر إليه بعض الفلاسفة المسيحيين ، من نقد وما اضطر إليه المجتمع المسيحى من الخروج على قواعد الكنيسة ونظمها وإقرار الطلاق أمام احتياجات الطبيعة البشرية ومشاكلها التى أجبرت المسيحيين على الخروج على القاعدة الإنجيلية " ما جمعه الله لا يفرقه إنسان " ، " من تزوج بمطلقة فهو يزنى " .

اجل لقد أباح الإسلام الطلاق لأنه دين تخلى عن الجمود وتمشى مع واقع الحياة وساير الطبيعة البشرية ولم تكن فيه صور للخيال الذى استحدثه رجال الأديان الأخرى ٠

وواقع الحياة يدل على أن كثيرا ما يحدث فى الحياة الزوجية ما يوجب الطلاق ، بل يجعله قانونا لازما ومحتما لحماية الأسرة أو حماية أحد الزوجين أو كليهما ، ومسرح الحياة تمثل عليه كل يوم مأساة تنبأ بهاً التشريع الاسلامى فجعل الطلاق لها علاجا، وما ذنب الجراح إذا احتاج جسم الإنسان إلى أن يعمل فيه بمبضعه ، وكذلك ما ذنب الإسلام إذا رأى المجتمع مريضا يحتاج إلى علاج كمبضع الجراح .

ومع إباحة الطلاق فى الإسلام اباحة تامة ولكنها مقيدة، فقد قيد الإسلام الطلاق بقيود جعل ذلك التشريع لا يطبق إلا عند الضرورة القصوى التى تكون وسيلة من وسائل حفظ حقوق كل من الزوجين ودفع الضرر عنهما ، إذ انه لا يصح اللجوء إلى الطلاق لأسباب تافهة يمكن علاجها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ابغض الحلال عند الله الطلاق" ولقد جاء فى بعض الروايات أنه عند حدوث الطلاقا تهتز السموات

وتشمئز الملائكة ، وذلك لأن الإسلام يرى أنه لا ينبغى أن يفكر الأزواج فى الطلاق لمجرد تغيير يطرأ على العاطفة ، والمعروف عن العاطفة أنها قلب تكره ثم تحب ، فيجب ترك تغير العاطفة للزمن الذى يمكن أن يعيدها إلى أصلها ٠

ويمكن الاستشهاد بواقعة الرجل الذى جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستثيره فى تطليق زوجته التى لا يحبها وتغير عاطفته نحوها ، فنهره عمر وقال : ويحك ، ألم تبن البيوت إلا على الحب ، فأين الرعاية وأين التذمم وفى قول عمر هذا إن الأسرة والرباط الزوجى لهما أركان غير الحب وان كان الحب ركنا لا غنى عنه ، ولكن الأركان فى بناء البيوت بث المراحم بواسطة الرعاية ، والتذمم الذى ذكره عمر فى قوله هو أن يكون الرجل مصدرا لجمع الشمل وبناء الصرح والعمل على عدم تشريد , الاطفال الذين لا حول لهم ولا طول ، وقد أوصى الله بالاطفال والمستضعفين من النساء فى قوله تعالى : " المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا " سورة النساء آية ٧٥ .

لا أن يكون أداة لتفريق الشمل الذى يؤدى إلى تشريد الأطفال وسوء مصيرهم ونكد العيش الذى تبتلى به الأسرة فيكون ضحيتها هؤلاء الذين لا حول لهم ولا قوة وبدون ذنب جنوه أو جريرة ارتكبوها إلا فتور عاطفة الزوج ، وكثيرا ما تتغير العواطف ثم تعود .

وقد قرر الإسلام عدة وسائل لعلاج مشاكل الزوجين ، تحاشيا لوقوع الطلاق وازالة أسبابه ، ومنها أنه عندما يحدث نزاع بين الزوجين أن يبحث كل منهما من جانبه عن الوسيلة التى تقرب إلى الصلح والوئام ، وذلك لقول الله عز وجل : " وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير " سورة النساء آية ١٢٨ .

وف حالة عجز الزوجين عن التئام جروحهما والصلح بينهما ولم يستطيعا الوصول إلى الوفاق بوسائلهما الخاصة ، وجههما الإسلام إلى عرض الموضوع على مجلس عائلى ، وقد حدد القرآن أعضاءه بحيث أن يكون مكونا من أحد اقارب الزوج وأحد أقارب الزوجة ، نم يعرض الزوجان على هذين الحكمين أسباب الشقاق ثم يبدأ الحكمان بدورهما العمل على القضاء على هذا الشقاق ، وبذل ما فى وسعهما على ازالة أسبابه واعادة الصفاء بين الزوجين ، وهذا لقول الله عز وجل : "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" سورة النساءآية 35 وان استحال على مجلس الأسرة التوفيق بين الزوجين ، فتكون الاستحالة معناها أن مقومات الزوجية قد نفدت بنفاد وسائل التوفيق ، وهنا يجيز الإسلام الطلاق ، وهدف بهذا الطلاق إلى مصلحة الأسرة نفسها ولتحقيق الصالح العام ، وأعطى فى هذه الحالة الرجل فرصة طويلة محاطة باجراءات معقدة لعله يراجع نفسه ويبقى على الحياة الزوجية والفرصة التى أعطاها الإسلام للرجل الذى يطلق امرأته طلقة واحدة رجعية فى طهر لم يتصل بها أثناءه مدة ثلاثة شهور ، يكون له الحرية خلإلها إن رأى ثمة خير إرجاع امرأته إلى عصمته ، وأن هذه المراجعة تعتبر استمرارا لحياة الزوجية ، وقد حسن الإسلام ، بل وحض على المراجعة والإبقاء على الزوجة الأولى خير من أن يطلق ثم يتزوج بأخرى ، وذلك لقول إله تعالى : " وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان أرادوا إصلاحا " سورة البقرة آية ٢٨

اذن فالطلاق فى الإسلام نظام وضع لصالح المجتمع ، وحفظت فيه حقوق كل من الزوجين بما يطابق العدالة ، وقد وضعت للطلاق اسس فلا ينبغى الخروج عليها وقد بين الإسلام أن الطلاق يشبه عملية بتر لابد من إجرائها إذا ما رأى فسادا ، سيحدث للجسم كله بسبب الجزء المبتور ، وقد أوجب الإسلام

على الرجل غرامات مالية وكفالات اقتصادية فادحة كمؤخر الصداق والنفقة وغيرها مما قد يكون سببا من اسباب تراجع كثير من الأزواج أو عدم الاقدام على حدوث الطلاق .
ولم أجعل من هذا الكتاب بحثا فقهيا حتى يمكننى الإلمام بالمسائل الفقهية المتعلقة بالطلاق ولكني أشرت إلى نقطة تبين المساواة وحكمة الإسلام في التشريع الذى عابه غير المسلمين . ولم نستطيع ان نغفل نقطة هامة يتشدق بها غير المسلمين ويتخذونها عيبا من عيرب الإسلام، والنقطة هذه هى نقطة التعدد في الزوجات ، ويقلدهم فى ذلك بعض من المسلمين الذين قلدوهم فى مسألة الطلاق فقلدوا المتشدقين ونفخوا فى أبواقهم وتكلموا بألسنتهم واتخذوا من حججهم قرينة ضد الإسلام وهم لا يعلمون أن دعواهم باطلة وأنهم عن الحق مبعدون ، وعن الجادة بعيدون لأنهم اتخذوا من حجج أعداء الله حجة ضد الإسلام، وبذلك اتخذوا من هؤلاء الأعداء أولياء لا يألونهم إلا خبالا، ولا يزيدونهم إلا خسارا .
وقد أباح الإسلام التعدد كعلاج اجتماعى ناجع فى عدة ظروف تحتاجها طبيعة المجتمع ، فلنفرض أن رجلا كان متزوجا ثم تعرف بأسرة فأحب إحدى فتياتها وبادلته الغتاة الحب فما بال الذين يعيبون التعدد . فهل يتخذ هذا الرجل الغتاة خليلة له أم خيرا له أن يتخذها زوجة ثانية ، ذلك صون للأسرتين .
والاجابة قطعا تحتم أن يتخذها زوجة ثانية ، لأن الزوجة الأولى تفضل أن تعرف أن زوجها متزوج بزوجة ثانية من أن تعرف أن لزوجها خليلة أو عشيقة ، كما أن ذلك أفضل لأسرة الفتاة وصيانة لشرفها ، لأن أسرة الفتاة تفضل أن تكون فتاتها زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة ، من أن تكون عشيقة أو خليلة فتلوث سمعة الأسرة وتجرح شرفها .
ثم نعود ونسأل المتشدقين بعيوب التعدد عما إذا كان هناك رجل متزوج وله أولاد ، نم تغيرت عاطفته تجاه زوجته ، فهل

يتخلى عن زوجته الأولى ويشردها وأولادها ، أم أن يبقى عليها ويتزوج بثانية ما دام قادرا على الانفاق وذلك أصون لأولاده وزوجته الأولى التى لو تركها لترك الأولاد لتصاريف القدر ، وبذلك يكثر التشرد فى المجتمع ، ولا يغيب عن بالنا أنه ربما لم يكن للزوجة الأولى عائل غير زوجها .

وليعلم أولئك المفترون على الإسلام أنه لم يفقد من حسابه عند فرض التعدد واباحته ان طبيعة الإنسان الدولية تحتم الحروب والمنازعات ، وكثيرا ما تحدث الحرب بين دولتين ، ونتيجة الحرب معروفة وهى أن يموت عدد كبير من الرجال المحاربين وبذلك تتشرد نساؤهم ٠ويمكن قبل الاستطراد ان نشير إلى الإحصائيات التى صدرت بعد الحرب العالمية الثانية التى بينت أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها كان عدد النساء الارامل أكثر من عدد الرجال فى بعض الدول ٠

لذلك احتاط الإسلام إلى هذه الناحية حفظا لهؤلاء النساء اللائى ضحين ... بأزواجهن في سبيل الدفاع عن الوطن فأباح تعدد الزوجات ، وكانت هذه الاباحة أثرا طيبا من آثار الإسلام ، وقد ظهر ذلك الأثر فى صدر الإسلام ، إذ تزوج الذين نجوا من ويلات الحرب بنساء الشهداء،، واعتبرت الزوجة الأولى أن هذه تضحية يفرضها عليها الدين والواجب و1لعرف الإنسانى بأن تشاركها امرأة الشهيد زوجها تقديرا لأعمال زوجها في سبيل رفع راية الإسلام وتقديرا للأرملة التى شجعت زوجها على الإقدام على العمل النبيل ، فوجب إلا تتركها تعيش شريدة معرضة للتفريط في أعز ما تملك المرأة فى هذه الحياة الدنيا.

وكثيرا ما نرى ان شابا تزوج بشابة جميلة موفورة الصحة قامت على خدمة زوجها خير قيام وشاركته فى رفع دعائم البيت ٠، وبعد. مضى مدة ألم المرض بتلك الشابة ثم تطور إلى مرض عضال أبعدها عن أداء وظيفتها الإنسانية في مملكتها التى خصصها إلله لها وهى المنزل ، أو أفقدها مقوماتها الجنسية ، فى الوقت الذى لا يزاال زوجها الشاب فى ريعان شبابه يتمتع

بحيويته . فهل يترك هذا الزوج نهبا لهواه وفريسة لشهوته فيبنى أعشاشه في الخارج ويعيث فى الظلام أو يأتى بعشيقتة إلى منزله فيضاعف آلام الزوجة المريضة ، أم أن يترك المريضة وربما لم يكن لما من يعولها غيره ، أم أن يتزوج بثانية وربما كانت خادمة أمينة للزوجة الأولى المريضة ، .
نعتقد جميعا أن الأفضل أن يتزوج الشاب بزوجة ثانية مع الإبقاء على الأولى وبفضل إدراكه السليم وتقديره لما أدته الأولى له من خدمات وبفضل توجيهه للزوجة الثانية التى ربما كان إدراكها ناضجا فتتمثل الوفاء في زوجها الذى لم يفرط فى من أصابها المرض فتكون وفية له ولزوجته الأولى المريضة .
فى هذه الحالة يرى كل ذى مروءة وذى عقل سليم أن الطبيعة البشرية واحتياجات ذلك الزوج هى التى فرضت على ذلك الشاب التعدد ، وأن الإسلام كان على بينة بضغط الطبيعة الانسانية فأباح التعدد وبذلك أنقذ المجتمع من كل شائبة تشوبه من شوائب الدنس والفجور .
الاسباب التى من أجلها أباح الإسلام تعدد الزوجات تجل عن الحصر ، ومع ذلك لم يترك الإسلام ولم يبح التعدد إباحة مطلقة ، فقد حرم على المسلم أن يجمع بين أكثر من أربعة ، كما جعل للإباحة شروطا ، وتلك الشروط جعلت التعدد عند الضرورة القصوى ، وفى حالة الضرورة القصوى كان للتعدد شروط أيضا ، وهو العدل بين النساء ، لقول الله سبحانه وتعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا " سورة النساء آية ٣
والعدل بين النساء من أشق ما يمكن ، وقد بين ذلك الله فى قوله : " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " سورة النساء آية ١٩
والله سبحانه وتعالى يعلم بحكمته أن من أشق ما يمكن العدل بين النساء فالقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف

يشاء ، والعادة البشرية أن يشتهى الرجل واحدة من نسائه فيسير وراء قلبه ويغمرها بالحنان والعطف ويؤدى لها مطالبها وبذلك ينعدم العدل بين الزوجتين. ٠

وإنى لتحضرنى قصة ليس المهم فيها أنها حقيقية أو غير حقيقية ، إنما المهم أنها تدل دلالة قاطعة على أن العدل بين النساء يكاد يكون مستحيلا ، فيروى أنه كان هناك فى صدر الإسلام رجل مما كشف الله عن ابصارهم وبصيرتهم متزوجا باثنتين ماتتا فى يوم واحد ، فقام بتكفينهما من قماش واحد بعد تغسيلهما من ماء واحد ، وطيبهما من طيب واحد ، وساوى بينهما فى كل شىء ، ولما أراد الخروج بهما إلى القبر كان باب البيت ضيقا فاضطر أن يخرج إحداهما قبل الأخرى ، وبعد أن قام بدفنهما رجع إلى البيت مكلوما متعبا فنام ، فجاءته التى خرجت بعد الأخرى فى رؤياه تعاتبه ، لأنه جعل السبق فى الخروج إلى القبر لزميلتها ٠

إن هذه القصة تبين حكمة التشريع الإسلامي فيما فرضه الإسلام على الرجل من عدل بين النساء إذا اضطر إلى التعدد مما يجعله مترددا عن أن يجعل التعدد لشهوة طارئة أو لنزوة مستحدثة عملا بقول الله عزل وجل : " فان خفتم إلا تعدلوا فواحدة " سورة النساء آية ٣ ٠

هذا هو الإسلام بتشريعاته وأحكامه وخطوطه العريضة التى رسمها لدعم الأسرة وجمع شملها ، فقد فرض لكل مشكلة علاجا ، ولكل مرض طبا ، ولكل داء دواء ، حتى يخرج المجتمع الإسلامي مجتمعا مثاليا .

الفصل الثالث المساواة الإنسانية في الأديان

كثير من الدول الغربية يتشدق بالديمقرلطية والمساواة بين الإنسانية ، كما أن بعض الدول الشرقية تنادى بما أسمته الشيوعية ، وكل من الفريقين يدعى أن فى مبادئه البلسم الشافى للإنسانية من جراح التفرقة وعدم المساواة ، كما يدعى كل من الفريقين أن العالم مدين له بتقرير المساواة بين بنى البشر ٠

لكن الواقع المؤلم يشير الى غير ذلك، فدول الغرب وأكثرها ادعاء للديمقراطية الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن قوانينها تتضمن صراحة التفرقة بين بنى الإنسان ، فهى تنص فى وضوح وبلا مواربة على التفرقة بين السود والبيض وتتجلى هذه التفرقة فى مختلف مظاهر الحياة وشتى أنواع المعاملات ، ويمكن الوقوف على مدى ذلك عند زيارتك لأمريكا فمدارس البيض غير مدارس السود ،،كما تحرم القوانين على السود ارتياد الأماكن التى يرتادها البيض ، كما لا يجوز للأسود ركوب المواصلات التى يركبها الأبيض وأكثر من ذلك جنوب أفريقيا . والدول الغربية الأخرى التى تدعى الديمقراطية ، لا تقيم لتلك الديمقراطية وزنا ، والأمكنة التى توجد فيها الديمقراطية هى صفحات الكتب وسطور المجلات المليئة بالدعاية ، ففى الوقت الذى نقرأ المبادئء فى الكتب تحض على الديمقراطية والمساواة الإنسانية نجد حقيقة مرة وأحداثا أليمة تظهر ساطعة للعيان فى معاملة تلك الدول لشعوب البلاد التى تستعمرها ، أو التى تخضع لسلطانها ، إذ تسقيهم كئوس الهوان مترعة وتطبق عليهم قوانين جائرة سنتها خصيصا لهم ، ولن يستطيع شعب من تلك الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتى ترسف فى قيود الذل والمهانة ان يعلن سخطه على تلك القوانين التى تغاير القوانين التى تطبق على رعايا تلك الدول المستعمرة والتى تخالف ما اسمته هيئة الامم المتحدة بمبادى،

حقوق الإنسان ، وإن اعترض أو سخط شعب على تلك القوانين وما يلاقى من جورها وشططها ، فلا جزاء له إلا حرب الإبادة والسجن والتشريد والنفى لأحراره وثواره ٠
وإذا قارنا دول الشرق بدول الغرب ، وناقشنا المبادئ التي تنادى بها ودرسنا الشيوعية ، فنجدنا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث نجد بالتطبيق العملى فروقا فعلية بين طبقات الشعب ، فأعضاء الحزب الشيوعى في أي بلد دخلتها المبادئ الشيوعية هم الذين يستأثرون بطيب الغيش ورغده ، والمراكز الممتازة فى بلدهم ، كما إنهم أصحاب الحق فى التمتع بكل شىء ، وما عداعم هم أقل الدرجات التى تندرج تنازلبا حسب إيمان الفرد بالشيوعية وولائه للحزب الشيوعى ، وذلك مقياسه يتوقف على مدى آلتقرب من أعضاء الحزب الشيوعي ، حيث أن تزكيتهم تعتبر عملا أساسيا فى صلاحية الفرد ، ولن تجد الشعب في تلك الدول سعيدا إلا على صفحات الكتب الماركسية وبين سطور النشرات للى تؤخذ من مبادىء لينين والتى توزع للدعاية فى الخارج والداخل، هذا في داخل البلاد الشيوعية، أما فى خارجها فالعداء مستحكم بين الدول الشيوعية وغيرها ممن لا يؤمنون بمبادئها ، ومن جراء ذلك فالإنسانية مهددة بالحروب والدمار نتيجة تطاحن الديمقراطية المزعومة والإشتراكية الموهومة .
ولو بحثنا عن العلة فى عدم تطبيق ما أسماء الغرب بالديمقراطية ، وما أسمته بعض للدول الشرقية بالشيوعية أو الاشتراكية كما يدعون ، ولو نقبنا في عدم تملك هؤلاء وأولئك للمبادىء السماوية لوجدنا أن سبب ذلك يرجع إلى أمرين هامين .
أولهما : أن الدول الغربية تؤمن بالدين إيمانا سطحيا ، وذلك فى وجود الدين بمعزل عن الحياة السياسية ، والسياسة هى كل شىء فى الحياة ، فلا صلة بين الدين والسياسة وإن التغنى بالدين والتدين ما هو إلا ميراث الأبناء عن الآباء كذكرى عزيزة

يحتفظ بها على الأرفف وفي الأدراج ، فالساسة ومن ورائهم الشعب كله لا يعرفون عن الدين شيئا إلا صلوات يؤدونها ودعوات يقرأونها وما بقى من أسرار بعد ذلك ونصوص وقواعد فهو للكهنة والبابوات والكرادلة فقط ، لأنهم أصحاب حرفة الدين .
والأمر الثانى ان الدول الشرقية خرجت على الدين والتدين واعتبرتهما جريمة وذلك لأنها أجرمت فى حق الدين واعتبرته مخدرا أو مفترا يوقف عجلة التطور ويعوق الإنسان عن التقدم ، فاستحدثت قوانين ومبادىء وضعية وظنت أنها وصلت إلى الأفضل وانتهت إلى الأكمل ، وتناست أن الإنسان مهما وصل به حد الإدراك لا يمكن أن يكون معصوما من الزلل أو الخطأ كما لا يمكن أن تكون قوانينه أو نصوصه ومبادئه وتعاليمه خالية من الثغرات الناتجة عن الأثرة والإنانية التى جبل عليها و القوانين الوضعية لا تحوطها الضمانات الكافية المستوحاة من الضمير ولا يحميها السياج الروحى الذى يعمل على التطهير الوجدانى الذي يقف رقيها على المشرع فيحيا ضميره ، ويخدشى القوة التي تفوق قوة البشركم أن القوة الروحية تكون عصمة للحاكم والمحكوم على السواء من الزلل والخطأ، والقوانين غير المبنية على طوية مطهرة روحيا ، هى أشبه بالجسد الخالى من الروح والمعرض للتبديل والتغيير طبقا لمؤثرات الجو، فتلك القوانين معرضة للتغيير والتبديل طبقا للشهوات والنزوات أما القوانين الإلهية فنجدها ثابتة لا تتغير لأنها صادرة من قوة لا تتغير وتستطيع أن تغير ، ومعنى ذلك أنك لا تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا . والمتتبع للأسباب التى حدت بكل من الغرب والشرق على السواء إلى الفرار من الدين يجد أن ذلك نتيجة حتمية لما أدخله الكهنة والقادة المسيطرون على زمام الأمور الدينية ،وخروجهم على القواعد الأصلية التى تمكنهم من الفرار و الفكاك من القيود والأغلال التى وضعها رجال الدين في أعناقهم ٠ فكهنة البراهمة أوجدوا نظام الطبقات بعد أن

قسموا الشعب الى قسمين أصليين : الأول هو المشترك فى الأسرار ، والثانى لا يعرف الأسرار ، ولذا كان الكهنة والقواد ورجال الحكم هم المستأثرون بالمناصب ،وذلك لأنهم هم المشتركرن فى الأسرار ، والأسرار وقف عليهم دون غثرهم ، اما أصحاب الحرف والتجارة فكانوا من غير المشتركين فى الأسرار ، ولذا خرج بوذا بتعاليمه الجديدة ثائرا على الأوضاع فنشر مبادئه الجديدة التى اضحت بعدها البرهمية شيئا غير مذكور ، إذ كانت أركان تعاليم بوذا الأساسية المساواة بين جسم الأمير وجسم المتسول ، وكذلك نصت تعالبم بوذا على أن لا فرق بين روحيهما مما جعل الأتباع يفرون من الديانة البرهمية واتباع بوذا ٠ وإذا تتبعنا كل الأديان الوضعية نجدها سطورا تشع أمثلة عليا فى الأدب والأخلاق والمساواة ء ولكن التطبيق كان يخالف النص والفعل يخالف القول ، وذلك راجع لخلو تلك المبادئ من الروح التى تدفهما والقوة السماوية التى تحيطها بسياج من الضمير الحى ، وأضف إلى ذلك أنانية الكهنة ومدعى التدين ومحترفي القيادة الدينية ، كل ذلك جعل الديانات في واد والأتباع فى واد آخر ، إذ أصبح الدين فى عرف الأتباع قضايا كلامية وحججا منطقية ، وحكما وأمثالا تقال فى الخطب و المناسبات الدينية فقط . وإذا تركنا الديانات الوضعية والمبادئء الكنفوشيوسية والحكم الافلاطونية وأمثال ارسطو وعرجنا على الديانة اليهودية التى قسمت بنى اسحق إلى فئتين احداهما المباركة وهم أبناء يعقوب والأخرى ملعونة وهم أبناء عيسو ثم قسموا أبناء يعقوب إلى مرتبتين : الأولى من أبناء يهوذا وهولاء يكون الملك منهم ووقفا عليهم ، وباقى الأسباط ومنهم الكهنة والخدام والفعلة ، ونجد أن أحبارهم وكهنتهم وكتبتهم وفريسيهم قد حرفوا التوراة حتى جعلوها تعادى روح الوحدة الإنسانية ، حرف اليهود قول أنبيائهم بشان المساواة ، فقصرت التعاليم الانسانية على اليهود فقط، فالرحة والعطف والإخاء والمودة وقفا على فقراء اليهود فقط ومحرمة على

الغرباء ، وإن دل هذا إنما يدل على تفسير واحد ، وذلك التفسير واقع فيما نراه من تعاون اليهود فى جميع بلاد العالم على تحطيم مقومات الشعوب التى يعيشون فيها ، كما يوضح لنا قسوتهم وإجرامهم في سلب فلسطين العربية من سكانها وتشريد أصحاب البلإد الأصليين ، وابتعادهم عن كل المباديء الأخلاقية التى نادت بها البيانات والشرائع ، وأن معاملة اليهود للعرب المقيمين بين ظهرانيهم لتمثل أبشع الجرم فى حق المساواة الإنسانية. التى شرعتها السماء فكانت فرضا على أهل الأرض ٠ ولما كانت المسيحية رسالة السماء إلى الأرض التى جاءت فىرعالم محيت فيه آثار الرحمة ، واتجه بكل امكانياته إلى المال والمادة على حساب الإنسانية المعذبة ، لذا جعلت كل تعاليمها للفت الأنظار الى الآخرة وترك الدنيا ، وذلك لأن السيد المسيح عليه السلام أرسل في بيئة مادية جشعة هي بيئة اليهود الذين تركوا الشرائع وحولوا التعاليم السماوية إلى تعاليم أرضية خالية من كل مبادىء الإنسانية ومع مادية اليهود فى الوقت الذى جاءت فيه المسيحية ، كان حكم الولاة الرومان الذين جعلوا من المجتمع طبقتين متميزتين : طبقة الأغنياء والاشراف الذين استاثروا بكل شىء ، استأثروا بالطيبات ورغد العيش ، لذلك كان جل تعاليم المسيحية ينصب على إطعام الفقير ورعاية البائس المحروم، والتحلى بالفضانل والأخلاق، والأمر بعدم التعدى على الغير ، ومن هنا يمكن القول أنها دعت إلى المساواة ٠ إلا أن الذين قاموا على شئون الكنيسة قد حرفوا الحقائق وبدلوا ألإنجيل بأناجيل تثبت على المسيحية ما هى براء منها من تهم، فقد جاء فى الأناجيل الاربعة منسوبا إلى المسيح عليه السلام زورا وبهتانا ، أنه جاء لخراف بنى إسرائيل الضالة فقط ، ثم نسبوا إليه أنه رفض أن يشفى أو يعطى البركة لامرأة سامرية ، كما نسبوا إليه القول إلى تلاميذه إلا يدخلوا مدن السامريين والأمويين للتبشير والدعوة، مما حول المسيحية إلى يهودية جديدة وطائفية مستحدثة ، حيث جعلوا

التعاليم المسيحية وقفا على اليهود فقط مما أجبر العقلاء من المسيحيين على الإعراض عن تلك الأناجيل وتلك التعاليم ، ومما جعل أتباع المسيحية يغفلون ما جاء فيها من تعاليم الحب والتسامح والعفو ، وذلك التحريف والتبديل والتغيير فى التعاليم الأساسية للمسيحية أضعف الروح المعنوية والمبادئ السامية فى نفس بنى الإنسان من أتباع المسيحية ٠ وإن موقف الكنيسة ورجإلها فى الغرب ، ذلك الموقف الذى إن وصف ، لا يوصف إلا بالديكتاتورية المتعجرفة التى سببت الثورة على الكنيسة والتى انتهت بعزل الكنيسة عن المجتمع وعزل الدين عن حياة الإنسان فى الدنيا ، فلا عمل للكنيسة إلا التدخل فى الحريات الشخصية والتمسك بأتفه الأمور وأبسطها ، بينما تترك جوهر الحياة ولب المبادئ عرضة لتيارات الإلحاد والفساد ٠ والكنيسة القيصرية ، وقد سمحت لنفسى بأن أسمى الكنيسة فى روسيا بالكنيسة القيصرية ، لأنها ارتكبت فى أواخر عهد القياصرة من الجرائم فى حق الشعب ما يجل عن الحصر ، فقد وقفت الكنيسة ورجإلها مع القياصرة فى واديهم وسايرتهم فى أهوائهم ، وناصرتهم على الحصول على ثرواتهم ، ولذائذهم وتركت الشعب كله فى واد آخر ، مما جعله يتحلل من تعاليم الدين ويتجه إلى التعاليم. الماركسية التى لأنها مست منه الوتر الجريح فظنها البلسم الشافى وانجرف فى تيارها لأنها كانت تبدو فى قالب معسول مما جعل الشعب يسير وراء منطقها الخلاب فى غير تعقل وقامت الثورة الحمراء فهدمت بنيان الكنائس ودور العبادة الأخرى على رءوس من بنوها ٠ وانتقل المرض الماركسى من روسيا إلى جاراتها كيوغوسلافيا ورومانيا اللتين كانتا معقل المسيحية ومنبع تعاليمها ، فاجتاح الدين أمامه وانتشرت العدوى الشيوعية فى أكثر البلاد المسيحية ، وذلك من جراء الخلل الذى أصاب الكنيسة بفضل كهنتها ، فانتشرت الاشتراكية الكاذبة والمساواة المخادعة

فأوقعت بالمجتمع المسيحى فى شرك الذين حاربوا الله ورسله وحطموا كل دين واعتبروا الدين خرافة

الفصل الرابع المساواة الإنسانية فى الإسلام

فى فترة من فترات التضارب الخلقى ، وعلى حين غرة من الملل والنحل ، التائهة فى بيداء المبادئ, القائمة على غير أساس ، نظرت السماء إلى الأرض فمنحت الإنسانية وثبة لم يعرف التاريخ لها نظيرا ، ففي الوقت الذى كان بعض الناس يعتقدون أنهم من نسل الآلهة ، والبعض بؤمن أن الدم الذى يجرى فى عروقه متخذ أصله ومنبعه من الدم الأزرق الملوكى النبيل ، كما كانت هناك بعض الأديان تفرق الشعوب إلى طبقات خلق بعضها من رأس الإله وهى الطبقات ذات المجد الإلهي المستحقة لحياة العزة والسيادة ، وبعضها خلق من قدمى الإله وتلك طبقة !لمنبوذين .

وفي الوقت الذى كانت تموج فيه شبه الجزيرة العربية بخضم من الفروق الشاسعة فى الحسب والنسب والرزق . حيث كان هناك الأعز والأذل والشريف و الحقير والغنى والغقير والسيد والعبد والعظيم والرذيل ، الكل يعبد الوثن ويخضع للصنم ، إلا قلة كتابية تؤمن بالله ، ولكن إيمانها كان مشوها مشوبا. بالشرك والتثليث وعبادة المال . فكان لتلك الملل والنحل كهنة وأتباع لاحول لهم ولا طول.

فى هذه الفترة وفى ذلك الوقت بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام يالإسلام للسادة والعبيد، العظيم والحقير، للغنى والفقير، للناس كافة · جاء محمد عليه الصلاة والسلام ليقرر أهم مبدأ فى الحياة لطالما حرمت منه الإنسانية زمنا طويلا فجاء الإسلام يقرر مبدأ المساواة باللفظ والنص والتطبيق العملى . جاء ليقرر وحدة الجنس البشرى فى المنشأ والمصير فى المحيا والممات فى الحقوق والواجبات أمام القانون وأمام الله فى الدنيا والآخرة فكان مجيئه وبعثه منحة الله إلى عباده .

جاء الإسلام ليقرر أن الإله لم ينسل أحدا ، ولم يكن له ند ، ولم يكن هناك أناس من سلالة الإله. "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "1" اللَّهُ

الصَّمَدُ "2" لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ "3" وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ "4" " سورة الاخلاص .
" وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا "92" إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا "93" لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا "94" وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا "95"" سورة مريم الآيات ٩٢ - ٩٥ ٠
جاء الإسلام ليقرر أنه ليس هناك من هو بدم أزرق ، أو من دم أبيض ، أو من دم أخضر ، وليس هناك من خلق ن رأس الإله ، وليس هناك آخر خلق من قدمبه ، فقد جاء يقرر وحدة الخلق من أصل واحد ، ومعدن واحد ، لا فرق بين الخليقة ٠ " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ "12" ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ "13" ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "14" ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ "15" ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ "16"" سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٦٠
"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ "11" سورة فاطر آية١١٠
""أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ "20" فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ "21" إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ "22"" سورة المرسلات الآيات 20 - ٢٢
"فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ "5" خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ "6" يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ "7" إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ "8"" سورة الطارق الآيات ٥-٨ ٠
جاء الإسلام مبعوثا به نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم ليقرر وحدة المنشأ وأنه لا تفاضل بين الناس إلا بقدر ما يقدمونه من برهان على الإيمان بين يدى الواحد القهار : ""يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "13"" سورة الحجرات آية ١٣

وان السنة أحد ركنى الإسلام اللذين ما إن تمسك بها المسلمون فلن يضلوا أبدا قد أكدت ما أكده القرآن الكريم من المساواة و الإنسانية المشتركة ، فقد وقف رسول الله صلى إله عليه و سلم خطيبا بين المسلمين فى خطبة الوداع وقال: " يا أيها الناس " إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على احمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب " .

ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم إلا معلما يلقن المسلمين ما لقنه الله فالقرآن ينزل على النبى توجيها للمؤمنين فى شخص الرسول صلوات الله عليه وسلامه فتنزل الآيات البينات يلقنها النبى للفقراء والأغنياء والعبيد مع السادة ، بل يؤمر صلوات الله عليه أن يكون مع الذين يؤمنون بربهم ويدعونه بالغداة والعشى وألا يشغل باله بالذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مهما كانت منزلتهم .

""وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا "28"" سورة الكهف آية ٢٨

ولقد كان الله سبحانه وتعالى يعاتب نبيه عتابا شديدا يكاد يبلغ حد التأنيب ، إذا ما ساورته ساعة حرص بشرى ، طمعا فى هداية أحد العظماء من قريش، مثل ما حدث مع الأعمى الفقير ابن أم مكتوم " ومع الوليد بن المغيرة ، وكان سيدا فى قومه حيث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بهداية الوليد وجاءه ابن ام مكتوم يطلب شيئا من القرآن ، والنبى مشغول عنه ، فألح ابن مكتوم على النبى ، فتضايق النبى وعبس فى

وجهه فنزل جبريل على النبى بعتاب الله عز وجل : "" عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى ، فانت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره " سورة عبس الآيات من ١ - 11 ٠

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على تطبيق الإسلام نصا وروحا لأنه كان يقول دائما لأصحابه رضوان الله عليهم "" رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره "" بل كان يطبق ذلك على نفسه حيث قال لأصحابه "" لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما اناعبد قولوا عبد الله ورسوله " ، وقد خرج يوما فقام الجالسون تبجيلا واحتراما له ، فقال صلى الله عليه وسلم موجها القول إليهم : "" من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار " ٠

وأن حادثة أبي ذر الغفارى والعبد الزنجى لأكبر مثل على ما رسمه الإسلام من الغاء الفروق والطبقات ومساواته بين الناس ، وقد قام نقاش بين أبي ذر الغفارى وعبده الزنجى ، وفى زحمة من النقاش قال أبو ذر للزنجى " يا ابن السوداء " فغضب النبى غضبا شديدا وقال صلى الله عليه وسلم والألم مرتسم على وجهه : " طف الصاع ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، فوضع ابو ذر خده على الأرض وقال للزنجى : " قم فطأ خدى " وفى رواية أخرى : " قم فطأ خد ابن البيضاء " ٠

وما كان من الله ورسوله من أوامر طبقها الخلفاء الراشدون تطبيقا فعليا فترجموا النصوص إلى أعمال ، وهاك عمر يقول : " يا أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه " : وقد كان عمر رضى الله عنه يوصى الولاة بالمساواة بين الناس فى الواجبات والحقوق ويحذرهم من الحيف أو

المجاملة أو الخروج عن حدود الله التى رسمها الله ، أو سنة رسول الله التى تركها فقد كتب إلى أبي موسى الأشعرى : " من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بن قيس : سلام الله عليك . أما بعد ... آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك " .

وقد أوصى عمر الخليفة الذى سيأتى بعده : " اجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب عليه الحق ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم، اياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله" ..

ولم يكن عمر رضى الله عنه يفعل هذا أو يأمر ذلك إلا مترسما خطة النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاءه أسامة بن زيد ، وكان محبوبا عند رسول الله يسفع في فاطمة بنت الأسود المخذومية وكان قد وجب عليه حد السرقة لسرقتها قطيغة وحليا ، فأنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على أسامة شفاعته قائلا: "أتشفع في حد من حدود الله" ثم قام صلوات الله عليه وسلامه خطيبا فى الناس فقال : " إنما اهلك من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ".

ولقد طبق عمر رضى الله عنه هذا القانون مع عبد الله بن عمرو ابن العاص فقد كان بن عمرو يسابق أحد المصريين فسبقه المصرى ، فاغتاظ بن عمرو وضرب المصرى الذى اقسم أنه لابد ان يشكوه إلى أمير المؤمنين ، فرد عليه بن عمرو ما معناه إنك لن تفعل بشكواك شيئا ، فلن تثمر شكواك فأنا ابن الأكرمين ، وفى زمن الحج ذهب المصرى والتقى بعمر وهو سائر ومعه عمرو وابنه وقدم شكواه ، فظهر الغضب على وجه أمير المؤمنين واتجه إلى عمرو وقال : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ، " ثم أعطئ الدرة للمصرى وأمره بضرب ابن عمرو قائلا : " اضرب ابن الاكرمين " .

والمساواة فى الإسلام لم تكن وقفا على الرعية، بل كانت مساواة بين الراعى والرعية فى الحدود والحقوق والواجبات لا فرق بين حاكم ومحكوم ففى الإسلام يجوز للمحكوم ان يوجه النقد اللاذع إلى الحاكم إذا ما خرج عن الحدود المرسومة ٠

فقد شكى يهودى عليا بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب ، ولما جلس عمر للقضاء بينهما خاطب اليهودى باسمه وخاطب عليا بكنيته، وقد كان الخطاب بالكنية دلالة على التعظيم ٠ فظهر الغضب على وجه على ، فقال عمر لعلى : أكرهت أن يكون خصمك يهوديا ؟ فرد على قائلا : لم أكره ذلك إنما كرهت أن لا تسوى بينى وبينه فقد خاطبته باسمه وخاطبتنى بكنيتى ٠

- وتلك حادثة أخرى تبين أن عمر فى مركزه كأمير للمؤمنين ، وهيبته وشدته لم يمنع المسلمين من نقده ، فبينما كان يخطب الناس سألهم " ما رايكم في أن أمير المؤمنين رأى فاحشة بين رجل وامرأة ؟ "" فرد عليه على بن أبي طالب قائلا : على أمير المؤمنين أن ياتى باربعة شهداء والا اقيم عليه حد القذف ، ثم تلا قول لله تعالى : " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون "

فسكت عمرو ولم يعين شخص المجرمين ٠

ولقد ساوى الإسلام بين الناس فى كل شىء حتى فى القتل ، فقد قال الإله فى حق القتل العمد " النفس بالنفس " لافرق بين أمير وحقير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ "" من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه ، ومن أخصى عبده أخصيناه "٠

هذا موقف الإسلام الذى جاء دواء ناجعا لداء التفرقة ، حرم على المسلمين احتقار الغير أو الاقلال من شأنه ٠ قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن " سورة الحجرات آية ١١ نعم انها كانت منحة السماء إلى الأرض

ورحمة الله بعباده ، كانت انقاذا للبشرية من ربقة الذل ، إنما كانت رسالة الله التى أخرج بها عباده من ظلمات الطبقات إلى نور المساواة ، أظهرت للناس حقوقهم فلا سادة ولا عبيد ، إنما كان الجميع أمام الله سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى .

الفصل الخامس المساواة الإقتصادية فى الأديان

ان الأديان السابقة على الإسلام لم تعن بالإقتصاد على أنه المعنى المفهوم من الإقتصاد ، فالإقتصاد بمعناه المفهوم أن يكون شاملا لنواحى الحياة الخاصة بالمال وتنظيمها تنظيما يشمل احتياجات المجتمع وضرورياته ، فينظم الأعمال والإنفاق وطرق الكسب وغيرها من السياسة المالية . أما نظرة الأديان إلى المال فهى اعتبار المال على أنه كسب بالطبيعة وإن كانت قد ضربت الأمثال الضئيلة على أن المال عصب الحياة ، إلا أنها لم تضع نظاما ينظم سياسته أو يحدد طرق كسبه ، لذلك كانت سياسة المال تسير حسب مقتضيات الحاجة إليه ، وكان تطور النظام تبعا لتطور المجتمع دون أن يكون له سند أو أساس يوحى به دين أو تشير إليه عقيدة .

فالأديان القديمة كما بينا سالفا قصرت تعاليمها على الحب والإخاء والتعاون والعطف على الفقير ، أما من ناحية المال فقد أوصت بالعمل والكسب ، ولكنها جعلت اهتمامها الأكبر مقصورا على النواحى العقائدية أكثر من النواحى الدنيوية ، وبذلك لم تكن هناك إشارات تفيد أنها اهتمت بتنظيم الميزان الإقتصادى ، اللهم إلا بعض الفلاسفة أصحاب المبادئء والمدارس الذين وضعوا المبادئ الخاصة بتداول السياسة الإقتصادية وذلك أمثال أرسطو الذى وضع كتابا عن السياسة ضمنه إشارة إلى تحريم الربا ، وبالطبع كانت قاصرة لأنها لم تلم بجميع شئون السياسة المالية .

أما الديانات السماوية فمنها ما اهتم بالمال على الأساس الأول فى الحياة ولكن هذا الاهتمام تطور إلى عيب من العيوب الإجتماعية حيث بلغ الاهتمام بالمالأ وصل إلى درجة العبادة، فأصبح المال هو إلهدف الأول والمعبود من دون الله ، وبذلك طفت المادة على الروح ، فتحجرت تلك الديانة وأصبحت مادية مطلقة ، وتلك هى ديانة اليهود .

فاليهودية بأسفارها مليئة بالوصايا التى تشير إلى سياسة المال ، وتنظيم السياسة الإقتصادية ، ولكنها سياسة محرفة خرجت عن الوصايا التى جاء بها أنبياء بنى إسرائيل ، إلا فيما يختص باليهود انفسهم ، فقد جعلت سياسة المال والإقتصاد سياسة محلية داخلية على ـحدث النظم الإنسانية، أما إذا خرجت تلك السياسة وأصبحت خارجة عن حيز اليهود فهى استفلال وغش وسرقة ٠

أما ما ورد فى أسفار اليهود عن التوراة بعد التحريف فهو اقتصاد مزيف حيث لا مساواة فيه بين الإنسانية جميعا إنما جعل المساواة بين المجتمع اليهودى فقط ، فقد بذلت الأسفار المواعظ والوصايا للشعب اليهودى فأوصت بالعمل والكد ، فقد جاء فى العهد القديم ما يشجع على العمل وينهى عن الكسل ، ففى سفر الأمثال الإصحاح العشرين من الآية الثالثة عشرة يقول سليمان :""لاتحب النوم لئلا تقتصر وتفتقر، افتح عينيك تشبع خبزا "" وفى نفس السفر يقول سليمان فى أمثإله : " المشتغل بأرضه يشبع خبزا ، وتابع البطالين يشبع فقرا " كما يقول سليمان : أما يد المجتهد فتغنى ويد البطال تفقر ٠

وقد جاء فى حق الربا وتحريمه ما يقول سفر الخروج : " إن اقرضت فضة للفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى " وفى سفر التثنية : " لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا " وفى سفر نحميا " انى بكت العظماء والولاة وقلت لهم إنكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه " ٠

والربا محرم فقط بين اليهودى واخيه اما فهو حلال بين اليهودى والأجنبى ، ودليل ذلك ما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج " للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرضه بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك " ٠

وكل ما جاء بعد ذلك فى التوراة فهو حض على الإنفاق على فقراء اليهود دون غيرهم ، وأما كتاب التلمود الذى استحدثه

اليهود خاص بأعمال الزراعة والحصاد والتجارة فتشع منه الأنانية اليهودية ، وسواء كانت التوراة المحرفة أو التلمود المستحدث فهما يدلان دلالة قاطعة على عدم المساواة بين الإنسانية فى الديانة اليهودية ٠

وجاءت المسيحية عقب الديانة اليهودية والعالم ينخر بالمبادئ المادية التى خلت تماما من كل القيم الإنسانية ٤.لذلك لجأت إلى إعلاء قيمة الروح والحط من قيمة المادة والتقليل من شأن المال حتى تعود بالعالم إلى الحياة السليمة ، وتنقى النفوس وتطهر الوجدان ٠ فقد جاءت فى العهد الحجرى للنفوس وفى العهد الرومانى بقوانينه المنظمة فلم تكن فى حاجة إلى تنظيم الحياة الدنيا ، بل كان كل رسالتها تنقية النفوس من الشوائب المادية والإلحادية ، فنفرت من المال واكتنازه ، وذلك وارد فى إنجيل متى الإصحاح السادس الآية السادسة عشرة " لا تكتنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدا وحيث ينقب السارقون " كما جاء فى نفس الإصحاح : " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الأخر ، لا تقدرون أن تحترموا الله والمال " كما جاء فى رسالة العبرانيين : " لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ، كونوا مكتفين بما عندكم".

وكانت المسيحية تحض المسيحيين على أن يعيشوا على الكفاف ، كما جاء فى الصلاة التى علمها لهم المسيح عليه السلام : " خبزنا كفافنا اعطنا اليوم " كما أمرتهم أن يتركوا الدنيا ويتجهوا إلى الآخرة ، وكانت تعاليم المسيحية تقلل من شأن الأغنياء ، وذلك أن المسيح أشار فى كلامه إلى أن دخول الجمل من سم الخياط أسهل من دخول الغنى الجنة ، بل كان يحتم على الذين يعملون بالتبشير أن يبيعوا كل ما يملكون ويتصدقوا به على الفقراء ثم يبدأون العمل بالتبشير ٠

ولكن تعاليم المسيحية لم تمنع بعض القائمين على الشئون الدينية من أن يشرعوا فى الإقتصاد ، ولك أمثال " مارتن لوثر "

الذى كتب فيما يختص بالربا وتحريمه وسماه بيع النسيئة وهو ما يسميه الإسلام بيع النجاش وهو يشبه المساومة والمضاربة التى تكون باتفاق التجار لرفع الاسعار،فقد قال لوثر :" إن هناك أناسا لا تبالى بضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها التى تباع بها نقدا ، بل هناك اناس لا يحبون ان يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم جميعا على النسيئة " ثم قال : " إن هذا التصرف فيه مخالفة لأوامرالله ومخالفة للعقل والصواب، ومثله في ذلك مثل مخالفة الأوامر الإلهية والأوامر العقلية أن يرفع البائع السعر بعلمه " ٠

والخلاصة أنه لا يمكنك أن تجد للمال سياسة فى تلك الأديان ، بل تركت الأديان التشريع الإقتصادى لأنانية الإنسان فيبغى القوى على الضعيف ويشبع ذلك القوى ويجوع الآخر ، ويلجا الجوعان تحت تأثير جوعه إلى سرقة من أتخمه الشبع ، وبذلك يختل نظام المجتمع ، لأنه لا تنفع المثل العليا مع الجوع ، و ماذا تفعل مبادىء الأخلاق والروح مع البطن الخاوى الذى يمنع العقل عن التفكير إلا فيما يعود عليه بالشبع دون التفكير في أن هذا حلال وذاك حرام ٠

الفصل السادس المساواة الإقتصادية فى الإسلام

ان شريعة الإسلام تقرر المساواة بين الناس فى شئون الإقتصاد ، إلى شأو رفيع لم تصله أي شريعة أخرى ، حتى أصبح المجتمع الإسلامي فى الزمن السالف مجتمعا مثاليا ، حيث شجع الإسلام على العمل ونظم العلاقة بين العامل ، وصاحب العمل وأعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثروات الحياة الدنيا .

يفسح الإسلام المجال أمام الناس جميعا للتفوق والطموح ، ويحقق تكافؤ الفرص بين الناس فى شئون الإقتصاد ، كما يعمل على استقرار التوازن الإقتصادى فيحرص على تقليل الفروق بين الطبقات ويحول دون تضخم الثروات ٠ويقيم الإسلام جميع العلاقات الإقتصادية بين الناس على دعائم من التعاضد والمحبة والإخوة وإنكار الذات ، وبذلك يكفل لكل فرد حياة انسانية كريمة يشعر فيها أنه عضو فى مجتمع فاضل يسوده التعارن والتآزر بين المسلم وأخيه والمسلم وبنى الإنسان جميعا ، وبذلك يكون قد ضرب أكبر مثل للضمان الاجتماعى والتكافل الإنسانى ، وصدق الله العظيم " ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "" سورة يوسف آية 40.

والإقتصاد فى الإسلام أساسه العمل المنتج والعامل المخلص، فاذا ما صلح العامل صلح العمل ، وصلاح العمل يحتاج إلى صلاح صاحب العمل ، ولقد كان موقف الإسلام فى ذلك رفيعا للغاية ، حيث فرض على العامل واجبات وسن له حقوقا يلتزم بها صاحب العمل ٠

فقد حض الإسلام على العمل ونهى عن الكسل : " وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور " سورة الملك آية ١٥ وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيد باليد العاملة ويعلن حب الله ورسوله للعبد الذى له حرفة يتكسب منها أو صنعة تدر عليه كسبا " تلك يد يحبها الله

ورسوله " ، " ان الله يحب العبد المؤمن المحترف" ، "ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده "٠
وقد جعل الله سبحانه وتعالى الرقابة على العامل من الله ورسوله والمؤمنين ، وتلك حصانة للعامل روحية تولد فيه خشية العقاب فى الآخرة من الله عز وجل وخشية الجزاء الدنيوى من صاحب العمل : ٠" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " سورة التوبة آية ١٠٥ .
وبعد أن عنى الإسلام بدفع العامل إلى العمل ووضع له نظام ذلك العمل واحكم الرقابة الداخلية والخارجية عليه ، فرض للعامل حقوقه لدى صاحب العمل ، وقد ورد حديث قدسى عن الله عز وجل رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه : " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره " وقد قال صلى الله عليه وسلم " أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه " .
ولم يترك الإسلام العامل مهما كان كسبه يتصرف فى كسبه كيفما شاء ، بل عنى بتوجيهه إلى خير سبيل الإنفاق والعدل فى انفاقه بتوجيه المال الوجهة الحسنة فينتظم أمامه سبيل الحياة الصحيحة ، وبذلك يحيا حياة سعيدة : " وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا " سورة الإسراء الآيات من٢٦ - ٣١ ٠
" يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " سورة الأعراف آية ٣١ .

" والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " سورة الفرقان آية ٦٧ ٠
ولم يحرم الإسلام على الانسان التمتع بنعم الله عليه ، ولكن حرم الإسراف وأحل الاقساط والعدل .
" قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33) " سورة الأعراف الآبات ٣٢ - ٣٣ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته " ٠
والإسلام كما ترى طالب بالقصد فى الإنفاق، لأن المال كثيرا ما يكون مفسدة ، والمفاسد وليدة الترف الخارج عن الحد المالوف ، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية فقد اشار إلى مفاسد المترفين ٠
" وما ارسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما ارسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين " سورة سبأ آية ٣٤ ، ٣٥
" وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ، ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تآكلون منه ويشرب مما تشربون" سورة المؤمنون آية ٣٣
ولم يقف ضرر المترفين على أنفسهم وحدهم ، بل امتد ضررهم إلى عشيرتهم وأهلهم ، فخدعوهم وجروهم إلى الضلال ، وأجبروهم على العصيان ، ووجهوهم إلى الكفر والفسوق ، حتى أطلق على هؤلاء الأتباع أنهم ضعفاء ، وقد روى القرآن الكريم ما جاء على لسان هؤلاء الضعفاء من ندم على ما فات وطاعتهم لسادتهم وكبرائهم : " وقالوا ربنا إنا

اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا " ٠ سورة الأحزاب الآيتان ٦٧ ، ٦٨ ٠
وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بيوت المترفين ببيوت الشياطين وذلك فى الحديث الذى رواه ابو داود " تكون إبل الشياطين ، وبيوت الشياطين ، فأما إبل الشيطان فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بنجيبات قد أسمنها ، فلا يعلو بعيرا منها ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلا أراها إلا هذه الاقفاص التى تستر الناس بالديباج " ويقول الله عز وجل : " وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين " سورة القصص آية ٥٨ . " وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " سورة الإسراء آية ١٦ ٠
ومن جرائم المترفين الربا وقد حرم الإسلام الربا لأنه جزء من مفاسد المجتمع ، حيث تستغله فئة قليلة أوتيت من الله عز وجل فضلا من السعة ، ضد فئة أجبرتها ظروف الحياة وكلكل الدهر على أن تقترض ما قد تحتاجه لتنال ما يعترضها وما تفاجأ به من تصاريف القدر ٠
فالمرابى شخص يستغل حاجة الناس وعوزهم فيتحكم فيهم وفى رقابهم ، وذلك بتحميلهم ما لا طاقة لهم به يأتيه الشخص وهو فى حاجة إلى بعض المال على أن يرده إليه بعد مدة معينة ، فيقدم له المبلغ المطلوب على أن يقيده بقيود تجبره على رد المبلغ المقترض مع زيادة فاحشة ، وكم خربت بيوت كانت قائمة نتيجة التعامل بالربا ، وكم من أغنياء أنتزعت أملاكهم انتزاعا من أصحابها فأصبحوا فقراء نتيجة التعامل بالفوائد المركبة التى ابتدعها المستعمر وفئة قليلة من المستغلين الجشعين ٠
ولذلك كان من أهم ما عنى به الإسلام وحرمه تحريما قاطعا ذلك الداء الوبيل ألا وهو الربا الذى يعمل على تحطيم أركان الأسر ثم المجتمع ، فقد قال الله تعالى: " الذين يأكلون الربا لا

يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بانهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم" سورة البقرة الآيتان ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، ثم قال : وهم سواء " ٠

وعند تحريم الإسلام للربا لم يغفل تنظيم سد حاجات الناس وتفريج كرب المحتاجين ، ووضع نظاما للقروض ، وحث على الإقتراض بالثواب الجزيل يوم القيامة وتوعد المقترض الذى لا يرد ما اقترضه بالعذاب الأليم ، فقد قال الله سبحانه وتعالى يحث الدائنين على الصبر على المدينين حتى يفرج الله عسرتهم ، كما امرهم باعطاء القروض للمقترضين فى قوله عز وجل : " وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة " سورة البقرة آية ٢٨٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحسنة بعشر أمثإلها والقرض بسبعين " ولما سئل عمر بن الخطاب عن السبب فى جعل القرض بسبعين قال آخذ الحسنة محتاج فرض الله له الصدقة ، أما أخذ القرض لم يفرض الله له صدقة وحاجته طارئة ربما جعلته فى عداد الفقراء لو لم يقرض ، فبقرضه يكون قد منع عبدا من عباد الله أن يفقر ٠ وقد روى البخارى والترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى " وقد بنى هذا الحديث على الخط العريض الذى رسمه الله سبحانه وتعالى فى قوله فى سورة البقرة فى الآية ٢٦٣ .

" قول معروف ومغفرة خي من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم " سورة البقرة آية ٢٦٣

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " ، وقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم : من أنظر معسرا ووضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله" ٠

وأما فى وجوب سداد القرض فقد وردت أحاديث كثيرة نأخذ منها على سبيل المثال ما رواه البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله ٠" وقد روى الخمسة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مطل الغنى ظلم " وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : " أرأيت إن قتلت فى سبيل الله يكفر الله عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم إن قتلت وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال الرجل كيف قلت ؟ فأعاد عليه فقال عليه الصلاة والسلام : " نعم إلا الدين فإن جبريل أخبرنى ذلك " ٠

وحينما أحل الله البيع وحرم الربا أحاط البيع والشراء لانهما عمد الحياة الإقتصادية بسياج متين ، ولقد اشترط الإسلام خلو البيع والشراء من الغش والكذب والنجاش والمنافسة غير المشروعة والمضاربة التى تؤدى إلى رفع السعر والتآمر والتواطؤ بين التجار ضد المستهلكين، وأن يكون ذلك البيع مبنيا على التبيان والصراحة وإظهار عيوبالبضاعة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " البيعان بالخيار ما لم يفترقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعها " ، وقال عليه الصلاة والسلام : " من غش أمتى فليس منى " وقال صلوات الله عليه : إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النارأولى به ، وقال سلام الله عليه : " لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه ، ولا ينفق فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيئة

بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث " . وقد روى الرسول صلوات الله عليه حديثا قدسيا عن ربه قال : "لا تناجشوا ولا تنافسوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض " .

وإتماما لتنظيم الحياة الإقتصادية ، فقد حرم الإسلام احتكار ضروريات الناس والتحكم فى أقواتهم، وحبسها طمعا فى بيعها فى السوق السوداء ابتغاء الكسب الحرام ، حيث أن كل كسب يأتى نتيجة الاحتكار ، أو حبس البضائع أو التجارة فى السوق السوداء ، فهو حرام ، وهؤلاء الجشعون من التجار والمحتكرون قد برىء الله ورسوله منهم يوم القيامة ، لان القاعدة الإسلامية بنيت على القول " لا ضرر ولا ضرار " واليك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحتكرين والتجار الجشعين : "" من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه " رواه الامام احمد فى مسنده ، وقد روى مسلم وابو داود والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " من احتكر فهو خاطىء ".

وان كثيرا من الناس ليتخذون من الوصول إلى مآربهم سواء عن طريق الاحتكار أو المضاربة شتى الطرق الملتوية للوصول إلى غاياتهم دون الوقوع تحت طائلة القانون ، سواء كان بالرشوة أو المحسوبية لدى القائمين على أمور تموين البلاد ، وبذلك يحصلون على ما ليس لهم حق فيه أو يسبقون غيرهم من أصحاب. الحقوق ، وذلك بالصلات المحرمة بمن فى يدهم الأمر الذين أضعف الله نفوسهم ويتناجون بالاثم والعدوان ، ولذا نجد أن الإسلام كان حريصا كل الحرص فحرم ذلك وتوعد الراشى والمرتشى والمحسوبية بالعذاب الأليم حيث قال الله تعالى فى كتابه العزيز : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون" سورة البقرة آية ١٨٨ . وكم بلى الناس فى كل مكان وكل زمان بالحكام الذين لا خلاق لهم والذين استغلوا

نفوذهم وسلطانهم واتخذوا من وظائفهم طريقا للكسب غير المشروع مما جعلهم يثرون على حساب المجتمع الذى يتلظى بنار الجوع والفقر والجهل والمرض، ولا هم لهؤلاء إلا جمع الأموال واكتنازها لا ينفقون منها بل يجعلونها أداة لإذلال المجتمع وهتك عرضه فينطبق عليهم قول الله تبارك وتعالى : " والنين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥

هؤلاء الحكام الذين تجردوا من كل خلق كريم وحرموا أصحاب الحقوق من الحصول على حقوقهم ، حتى اختل الأمر وأصبح صاحب الحق وهو صاحب الترضية للحاكم والمحسوب أو المنسوب لذلك الحاكم .

وقد كان الإسلام حريصا كل الحرص على أن يتلاشى هذا المرض الخطير من المجتمع الإسلامي ، فقد أمر بمحاسبة الحاكم والولاة على مصادر الزيادة فى أموالهم التى كانوا يملكونها قبل توليهم مناصبهم ، ومصادرة ما لم يستطيعوا اثبات مصدره ، أو كان مصدره استغلال النفوذ والسلطان ، وإن التاريخ الإسلامي لغنى عن البيان ، فهو ملىء بالحوادث التى تسجل مواقفه الخالدة فى هذا الشأن وانه ليمكننا ان نقص بعضا منها حدث فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام وبعضا حدث فى زمن الخلفاء الراشدين الذين ساروا على نهج الرسول واتبعوا أمر الله ورسوله .

فقد أقبل يوما على النبى صلى الله عليه وسلم ابن اللليتية وهو من الأزد ، وكان النبى قد ولاه على الصدقة ، فلما جلس الرجل بين يدى النبى قسم ما معه وقال : " هذا لكم وهذا أهدى لى " فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام خطيبا فى الناس وقال " أما بعد فإنى أستعمل أناسا منكم على أمور مما ولانى الله فيأتى أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لى ، فهلا

جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظرأيهدى إليه ام لا ؟ والذى نفس محمد بيده لا يأخذ منه شيئا إلا جاء به. يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر " فترك ابن الليتية ما أهدي إليه ٠

وفى عهد عمر كان يصادر ما كان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها والهدايا، وكل ما اكتسبوه نتيجة استغلال النفوذ ، وقد فعل ذلك مع ولاته على البصرة ، فصادر جميع ما شك فيه أنه جاء إليهم عن طريق مناصبهم التى ولوها ٠

ويذكر لعمر قصة فى هذا الشأن مع أبي هريرة ، وكان قد ولاه على البحرين ، فبلغه أنه أثرى فى اثناء ولايته ، فصادر جميع ما شك فى مصدره منها ، وقد دار بينهما الحوار الآتى :

عمر : استعملتك على البحرين وانت بلا نعلين ، ثم بلغنى إنك ابتعت أفراسا بألف وستمائة دينار .

أبو هريرة : كانت لنا أفراسا تناتجت وعطايا تلاحقت .

عمر : حسبت لك رزقك ومؤنتك و هذا فضل فأده .

ابو هريرة ٠ ليس لك .

عمر : بلى ، والله أوجع ظهرك ، ثم قام إليه بدرته فضربه حتى أدماه .

ابو هريرة : أحسبتها لله .

عمر : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا ، أجئت من اقصى البحرين تجبى الناس لك لا لله و للمسلمين ؟ ما رجعت بك أمبمة إلا برعية الحمر ٠

وقد قاسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبي وقاص والى الكوفة ماله حين شك فى مصدره ، واتخذ معه ما اتخذه مع أبي هريرة وولاة البصرة . وقد حدث مع عمرو بن العاص والى مصر ما حدث مع أبي هريرة وغيره ، فإنه قد بلغ عمر بن الخطاب أن عمرو بن العاص قد أصاب ثراء ومالا أثناء ولايته على مصر فدارت بينهما الرسائل الآتية :

رسالة عمر : إنه فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر ٠

رد عمرو : إن أرضنا مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلا عما تحتاج إليه نفقتنا ٠

رسالة عمر : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سئت بك ظنا ، ووجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك فأطعه ، وأطلعه وأخرج إليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك فانه برح الخفاء . فأذعن عمرو واطلع محمد ابن مسلمة على كل شيء وأخرج إليه ما طالبه به وتركه يقاسمه ماله ٠

وتد حرم الإسلام اغتصاب حقوق الناس سواء عن طريق الحكام أو المحكومين ولم يكن عمر حين كان يحاسب الولاة والحكام يغفل محاسبة نفسه وبيته ، فقصة امرأته التى اشتهت الحلوى ، وادخرت من قوتها ثمنها واعطته لعمر لشرائها فما كان من عمر إلا أن أخذ ثمن الحلوى وضمه إلى بيت المال قائلا : إن هذا فضل من قوتنا فبيت المال أولى به ، مثل حى كان عليه حكام المسلمين من عدل وخوف من الله وخشيته فى السر والعلن ، وكيف لا يحدث ذلك من عمر وهو الذى آلمته معدته من كثرة أكل الزيت فى عام الرمادة ، فضربها بكفه قائلا لبطنه : " قرقر أو لا تقرقر فلن تأتدم السمن حتى يخصب المسلمون " ٠

وقد حرم الإسلام اغتصاب الحقوق سواء كان الاغتصاب من الحاكم للمحكوم أو المحكومين بعضهم بعضا ، فقد قال رسول ام صلى الله عليه وسلم : " من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان " وقال عليه الصلاة والسلام " من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله به من سبعة أراضين " ٠

وربما يخلط بعض الناس بين معنى الاغتصاب ومعنى التأميم والمصادرة، فالاغتصاب مبنى على الأثرة والإنسانية الفردية، كمطمع فرد فى مال أخيه ، أو حاكم نظر إلى ما متع الله به أحد

الناس من نعم فأراد اغتصابها لصالحه، أما التأميم والمصادرة العامة فهى لصالح المجموع بناء على القاعدة التى رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاث ، الماء والكلأ، والنار " ٠ وهذه القاعدة تفيد أن الناس جميعا لهم حق الاستفادة من هذه المواد االطببعية بجانب ما فرضه الله فرضا من الاقبال على النعم كالهواء والعلم ، وقد روى الامام احمد فى مسنده واخرجه أبو عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتطع أرضا يقال لها النقيع بالمدينة لترعى فيها خيل المسلمين ، كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتطع أرضا بالربدة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، واعتقد أن هاتين الحادثتين تبينان أن للحاكم حق التأميم والمصادرة متى كانت لصالح المجتمع ، مع تعويض الفرد تعويضا ماليا عم أصابه من ضرر من جراء التأمبم فى سبيل المجتمع ٠ وما دام التأميم فيه نفع للأمة جميعا ، فهو خير ، ولقد وصل الإسلام إلى حد أبعد من ذلك ، فلقد اجاز الإسلام انتزاع الملكية لسببين : أن تكون للمنافع العامة أو يكون فيها ضرر للناس ، وقد سن رسول إله صلى الله عليه وسلم هذا القانون عندما كان لسمرة بن جندب نخل على دار أحد الأنصار فكان كلما جاء نخلة يؤذى صاحب الدار فشكاه هذا إلى النبى صلى الله عليه وسلم الذى أمر بخلع النخل بمعرفة الانصارى بعد أن عرض على سمرة ان يبيعه أو يهبه أو يخلعه فأبى ٠ وبجانب النظم السابقة التى وضعها الإسلام فى المساواة الإقتصادية نجده قد وضع نظاما لتلك المساواة لا تقل أهمية عن النظم السابقة ، فقد شرع نظام الميراث الذى يعمل على توزيع الثروات وتقليل الفروق بين الطبقات ، وذلك بتفتيت رؤوس الأموال ورسم لذلك حدودا ونظما يمكن للقارىء الرجوع إليها فى كتب الفقه ، هذا القانون الذى عجزت أحدث القوانين عن أن تأتى بمثله ، بل اضطرت بعض الدول أمام جلال تشريعه أن تأخذ به ، ولكفالة وضمان تنفيذ التشريع جعل نظام الميراث حدا من حدود الله

التى أمر بها وأشار اليها فى قوله تعالى : " تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدى حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين " ٠ سورة النساء الآيتان 13، 14 وقد حرم الإسلام الوقف الأهلى ، وذلك منعا لتضخم الثروات ووضعها فى يد أحد الملاك حيث يشذ بعض الناس فيوقف ثروته على أحد أولاده دون الآخرين ، أو لسبب من الأسباب يوقف ماله وثروته على أحد الخدام مع حرمان أصحاب الحق الأصلى فى الميراث ، وبذلك تتكون الثروة كلها فى يد شخص واحد ويعيش الباقون فى فقر مدقع ، فتتولد الضغائن والأحقاد ، وقد تنبهت الحكومة الرشيدة عقب ثورة سنة ١٩٥٢ إلى ذلك فألغت الوقف الأهلى بمقتضى القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٥٢ ، وبذلك تكون الثورة قد قضت على عيب ، فطالما تحكم نظار الوقف فى المستحقين وتكون قد سايرت الإسلام وطبقت قوانينه نصا وروحا ، فوضعت الأمور فى نصابها ، وتلاشى عيب اجتماعى خطر كان له أثره السىء فى المجتمع ٠ وان كان الإسلام قد اجاز الوصية ، فقد أوقف جوازها على غير الورثة ، وكان الجواز له هدفه السامى فى حقوق المجتمع ، فكثيرا ما يقوم أحد الخدم الأوفياء بخدمة سيده مدة طويلة بأمانة وإخلاص ، فيرى سيده أنه من الوفاء أن يوصى له ببعض مإله ، كما أجاز الإسلام الوصية للخير كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات أو الانفاق منها على الفقراء و فى الواقع تعتبر الوصية من تراث الإسلام الاشتراكى الذى حرمها على الوارث حتى لا يحصل أحد الورثة على أكثر من نصيبه مما يجدد عيبا فى المجتمع وهو الحقد والعداء بين أفراد الأسرة ، وقد فرق الإسلام ووضع النظم التى تبين الميراث والوصية فى قول الله تعالى عز وجل : " يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كالت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل

واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث ، فان كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ، ولكم نصف ما ترك ازواجكم إن لم يكن لهن ولد ٠ فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله اخ أو أخت فلكل واحد منها السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم " ٠ الايتان ١١ ، ١٢ من سورة النساء . وبجانب تنظيم الإسلام للمجتمع أفرادا وجماعات قد نظم ما يجب على الأفراد نحو الأمة مما ييسر أعمال الحكومة ، ففرض عدة طرق ضرائبية يقوم بتحصيلها بيت المال لينفقه على الخدمات العامة التى تخص المسلمين في البلاد الإسلامية فكانت هناك عدة ضرائب نذكر منها :

ضريبة الخراج : وتفرض على الأرض التى فتحها المسلمون وتركوها فى أيدى أصحابها من غير المسلمين بشرط أن يكون الصلح قد تم بين المسلمين وأصحاب الأرض بدون حرب ٠

ضريبة الركاز : وتفرض على ما يستخرج من باطن الأرض كالمعادن الصلبة والسائلة وقد فرض الإسلام الضرية بمقدار خمس قيمتها ٠

ضريبة الصيد : وتفرض على الصيد البرى والبحرى واللآلىء والأصداف ، والاسفنج والاسماك والحيوان والمرجان والعنبر وغيرها ، وضريية ذلك خمس قيمة الصيد ٠وقد أجاز الإسلام للامام أو الحاكم فرض ضرائب عند الحاجة وإلغائها عند انقطاع تلك الحاجة التى أوجبت فرضها ٠ ونظام الزكاة فى الإسلام يختلف عن نظام الضرائب وهو خير النظم الإجتماعية ، فهو

ضمان إجتماعى جعل الله به أموال الغنى حقا معلوما للسائل والمحروم ، وللزكاة أنواع متعددة منها :
زكاة الزروع : وتقدر بقيمة العشر للارض التى تروى من الينابيع أو الانهار دون الحاجة إلى استعمال آلات رافعة ونصف العشر للارض التى تحتاج إلى جهد وآلات لرفع ماء الرى ٠
زكاة الانعام : ويمكن الرجوع إلى تفاصيلها فى كتب الفقه الإسلامي.
زكاة الذهب والفضة : ويدفع عنها ربع العشر على شرط أن يمضى على ملكيتها عام كامل ٠
زكاة عروض التجارة : وهذه يمكن الرجوع إلى تفاصيلها فى كتب الفقه الإسلامي ٠ وتنفق الزكاة فى أبواب حددها القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " ٠ سورة التوبة آية ٦٠ . وقد فرض الإسلام عدة ابواب مالية أخرى لتدعيم التكافل الإقتصادى بين المجتمع الإسلامي فأوجب زكاة الفطر والضحايا والهدايا ، كما أوجب عدة غرامات مالية على حلف اليمين أو فطر رمضان وذلك لتوسيع أبواب الانفاق على الفقراء والمساكين ، وقد بين ذلك فى محكم آياته فقال عز وجل ٠" لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبن الله لكم آياته لعلكم تشكرون " سورة المائدة آية ٨٩ ٠ كما فرض الإسلام غرامة مالية كبيرة على من يظاهر امرأته ويريد الرجوع اليها وذلك واضح كل الوضوح فى قول الله تعالى الذى قصد به الرحمة بعباده الفقراء ٠" وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4) " سورة المجأدلة الآيتان ٤،٣ . وقد رسم الإسلام خطوطا أخرى فى التكافل الاجتماعى فخطط تخطيطا واسعا لتكافل الارحام ، وذلك بقول الله عز وجل : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب " سورة النساء آية ٣٦ وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " ليس منا من بات شبعانا وجاره جائع " ، لخير دليل على التكافل الاجتماعى ، وقد زار رجل ابن عباس ووجده قد ذبح شاة وقام بطهوها ثم ارسل غلامه ببعضها إلى جاره اليهودى فدهش الرجل وظهرت الدهشة على وجهه فعرف ابن عباس وقال له يارجل ٠ ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصينا بالجار حتى ظننت انه سبورثه ، ويقول الله عز وجل ٠ " آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير" سورة الحديد آية ٧ . هذه هى المساواة الإقتصادية فى الإسلام ، هذه هى الرسالة التى نظمت شئون الدنيا والآخرة منحها الله للإنسان ووضعها بين يدى المسلمين نعمة وفضلا " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " سورة النساء آية ١٦٥ . فقد وضع الإسلام للبشرية نظما وشرع لها شرائع تكفل لها السعادة فى الدارين الممر والمقر ، ووضع للفرد أسسا يمشي عليها وبين له طرق الكسب والإنفاق والعمل والحياة الإجتماعية، كما أوقفه على ما يضر به فحرمه عليه ، وهيأ له اسباب حياته فردا وفى أسرته كما خطط له العلاقة بمجتمعه ٠ ووضع للمجتمع الأساس السليم الذى ينظم الحقوق والواجبات بين الفرد وأخيه والحاكم والمحكوم، وكفل له نظاما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لكى يكون للمجتمع الإسلامي العزة والسيادة فلا استفلال لرأس

المال فى الإسلام ولا تحكم ولا غش ولا رشوة ولا احتكار ولابغى كما أوجب العدل والإحسان والإنفاق على الفقراء وأمر بصلة الارحام " إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون " سورة النحل آية ٩٠

الباب الرابع الحرية

الفصل الأول الحرية فى الأديان

المفروض فى الحرية أن تكون الأساس لجميع ما رسمته الأديان من عقائد ونظم وتشريعات ، ولكن ما بيناه فى هذا الكتاب يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن للإنسان حرية فى عقيدته أو دينه فى الأديان السابقة على الإسلام ، فلم يكن حرا فى التفكير فيما يدين به ، وحتى كان محرما عليه إبداء رأيه في كنه الإله الذى يعبده ، وكان من الكفر أن يبحث فى نظم عبادته أو تفصيل ما شرع له ٠

فكيف يمكننا أن نقول أنه كان فى الأديان السابقة أي نوع من أنواع الحرية حيث انعدمت الحرية الغكرية حينما حرم على الإنسان التفكر فيما يعبد أو فيما يعلم وما لا يعلم ، وقد انقرضت الحرية السياسية حين تحكم الكهنة والطغاة الذين كان قولهم من قول الآلهة ، فلا مناقشة لما يقولون ولا نقض لما يحكمون به ، كما كانت الحياة خالية من الحرية المدنية ، لان الإنسان كان عبدا لما يمليه عليه القائمون على شئون الدين ، ومن هنا يمكن القول بانعدام الحرية الدينية ، لأن ذلك الإنسان نفسه لم يكن عاما فيوليه الدين حقوقا عامة .

ولن يغيب عن البال الحكم على سقراط بشرب السم وموته شهيد الحق ، لأنه أفشى أسرار الوحدة وخلود الروح ، واعتبر سقراط كافرا ، وسر كفره أنه لم يشترك فى الأسرار أو فى القسم الذى يرتبط به المشتركون فى الأبرار ، وإن موته ليفسر لنا انعدام الحرية الفردية ، سواء كانت فى الأديان الوضعية أو المبادئ، الفلسفية .

والديانة اليهودية التى حرمت على الشعب اليهودى مناقشة الأحبار والكتبة والفريسيين ، وإن القارىء لأسفار بنى إسرائيل لن يرى ثورة من الشعب على انبيائهم وكهنتهم إلا فى سبيل

المأكل والمشرب أو ما لاقوه فى سبيل إلهجرة من المشقة ، كانوا كالسائمة لا يفعلون إلا ما يؤمرون به عاشوا حياتهم لا يطلبون إلا بما تنادي به البطون مدعين أنهم متمسكين بحرفية الأسفار .

ولكن اليهودية أطلقت الحرية في ناحية واحدة هي التفكير في استغلال كل الطاقات لاستعباد الشعوب وتقويض مقوماتها ، ولكن ذلك لا يخرج عن الحدود التى رسمتها الصهيونية العالمية ، ومن خرج على تعاليم الصهيونية فهو كافر و مستحق النقمة واللعنة والطرد من الوسط اليهودى ٠

وجاءت المسيحية عقب اليهودية تدعو للحرية الفكرية ، حيث وجهت الأنظار إلى السماء بعد أن هجرتها ودعت إلى الاتجاه إلى الله وتحرير العقول من أغلال المادة بعد أن تجردت تلك العقول وخويت النفوس من الروحانية ، وتحولت إلى مادة جامدة لا روح فيها ٠

وبعد أن رفع المسيح عليه السلام ، إختل نظام الدعوة التى جاء بها فاستجدت الأفكار وحرفت دعوة المسيح وشوهت المسيحية فكثرت فيها الآراء الفلسفية وأمسك الكهنة بزمام الأمور وخرجت العقائد الكنيسية فاحتلت المراكز ، واستولت الكنيسة على مقاليد السلطة واستغلت الشعب المسيحى أسوا استغلال مما أدى إلى وجود طوائف خارجة على الكنيسة ٠

ولما شعرت الكنيسة بوجود المفكرين الذين خرجوا عما رسمته من قواعد واصول رأت فى ذلك ما يهدد سلطانها وضعف مركزها أمام تيار الفكر الحديث والعلم الآخذ فى النماء فانطلقت تقاوم وتجاهد تلك الأفكار وذلك العلم، فحاولت تكميم الأفواه البريئة وتعطيل الأفكار الحرة التى تناقض النظريات البالية العتيقة ٠ومن هنا كان العداء الشنيع بين الكنيسة وحرية الفكر منذ ذلك التاريخ ، فاصطدمت نظرياتها عن الأرض والافلاك والمواد بنظريات العلم القائمة التى تناقض النظريات البالية العتيقة ٠

ولما كانت نظريات العلم. يؤيدها التجربة والواقع ، وفتوحات العلم لا تدع مجالا للشك فى عظمة هذه الاداة المستجدة ، فقد نشأت أجيال من العلماء والمفكرين تكره الكنيسة وتحتقرها ، وأصبح هؤلاء العلماء والمفكرون يكونون فى نفوسهم العداوة والاشمئزاز للدين ورجإله .
ولذلك كانت هناك جفوة بين الدين والعلم وبين الكنيسة والفكر فى حياة الأوروبيين ٠ وأما فى الشرق فلم تكن هناك عداوة بين المفكرين ورجال الدين ، وذلك لأن رجال الشرق عاشوا مسلمين القياد لرجال الدين الذين تركوا لهم الحبل على الغارب إلا فيما يمس سلطان الكنيسة وقداستها مما ولد شبه جمود فكرى فى الشرق . أما الإسلام فقد قدس الحريات واعتبرها الدعامة الأولى فى تصحيح العقائد وتطبيق التشريع ، وكان حريصا على تطبيق الحرية فى شتى شئون الحياة يمارسها الفرد سواء كانت حرية فكرية أو سياسية أو مدنية أو دينية ، وبذلك يصبح المسلم عضوا ناضجا فى المجتمع يفيد ويستفيد وبه يكتمل نظام المجتمع الإسلامي.

الفصل الثانى حرية الفكر فى الإسلام

حرية الفكر فى الإسلام تنقسم إلى قسمين : الأول حرية الرأي ، والثانى حرية التفكير العلمى، فقد كفل الإسلام للمسلم الحرية الفكرية بقسميها ، وقد أعطاه بل أوجب عليه ان يبدى رأيه باى وسيلة يشاء ، وأن يجهر بما يرى فلا يخاف فى الحق لومة لائم ، وتوعد من يكتم حقا فى صدره ، أو يحبس رأيا فيه نفع للأمة فى مجموعها العذاب الأليم يوم القيامة، فقد وصف الله الأمة الإسلامية بقوله :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"سورة آل عمران آية ١١٠ .

".وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " سورة البقرة آية ١٤٣ ٠

فقد أعطى الإسلام المسلم الحق أن يعتنق ما يراه بصدد ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والإنسان ، واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات ، ولا يختلف موقف الإسلام فى نوع من العلوم دون نوع آخر ، فلم يحاول أن يفرض على العقول أي نظرية علمية معينة سواء كانت فى علم الفلك أو الحيوان أو النبات أو الإنسان ، ولم يتعرض لتفاصيل هذه الشئون بل رسم الخطوط العريضة ثم استحث العقول على النظر فى الظواهر والخفايا وحفز الناس على التأمل فى هذه الشئون كلها واستنباط قوانينها العامة ، وأثر فى نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التى لا تثير الانتباه ٠

والإسلام لا يعادى العلم ولا يجافى العلماء ، بل يجعل العلم فريضة مقدسة داخلة فى العبادات والشعائر الدينية حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ، كما يقول صلوات الله عليه وسلامه فى حق الرحلة فى طلب العلم : " ومن سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " ويقول الله تبارك وتعالى فى الحث على

طلب العلم : " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" سورة النحل آية ٤٣ .

"فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " سورة التوبة آية ١٢٢ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " ٠

والله سبحانه وتعالى ورسوله يحثان على طلب العلم والتعلم ، فقد أشاد الله بالعلم وذلك عندما أنزل أول تنزيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث علمه القراءة ، وذلك فى قوله تعالى : " اقرأ بسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسن من علق ، إقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم سورة العلق الآيات1، 5

وأشار سبحانه وتعالى إلى أدوات القراءة والكتابة ، فأقسم بالقلم وما يسطر القلم ، والرق المنشور ، أي الصفحات المكتوبة ، والكتاب المسطور أي الكتاب المكتوب الذى يقرا وذلك فى قول الله تبارك وتعالى : "ن والقلم وما يسطرون " سورة القلم الآيتان ٢١ ٠

"" والطور ، وكتاب مسطور ، فى رق منشور " سورة الطور الآيات ١ - ٣

والعالم والمتعلم لهما أجر عند الله وثواب ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ، ولا خير فى سائر الناس بعد " وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعلم فى حديثه " اغد عالما أو متعلما ولا تغد بين ذلك " ، وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس خطيبا يعاتبهم على عدم التعليم والتعلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ئم قال : "مابال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم

جيرانهم ويفقهونهم وبعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة " ٠

ولم يعرف التاريخ الإسلامي تلك الاضطهادات المنكرة المنظمة لرجال الفكر أو رجال العلم ، فقد أشاد الله بالعلماء وربط الإسلام التقوى بالعلم وجعل العلم سبيلا إلى معرفة الله وخشيته ، فقد قال الله تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " ٠

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم " سورة آل عمران آية ١٨

" يرtع الله الذين آمنوا منكم وال ذين أوتوا العلم درجات " سورة المجادلة آية ١١

ويفضل الله العلماء على الجهال بل جعل فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، فيقول عز وجل : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " ٠ ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب "كما يقول عليه أفضل الصلاة والسلام ٠" قليل العلم خير من كثير العبادة " ، ويقول صلى الله عليه وسلم : " يبعث الله العالم والعابد، فيقول للعابد ادخل الجنة، ويقال للعالم اشفع للناس كما أحسنت أدبهم " ٠

وكما سبق القول لنا أن الإسلام لم يبن شرائعه على خوارق العادات وغامض المعجزات كما أنه لم يقم على الغيبيات ، إنما قام على التأمل والمشاهدة والنظر فى آيات الكون واسباب الحياة . ,

وقد أمر القرآن الكريم أن يتأمل المسلمون فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وخلق الإنسان وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، وكثير من الآيات فى كتاب الله عز وجل تدعو إلى التأمل فى تكاثر النبات وتناسل الحيوان ، وطفو بعض الأجسام على الماء وغير ذلك من مسائل

العلوم والفنون ويوحى القرآن إلى الإنسان أن كل تلك الفنون والمعارف جديرة بالتطلع والتفكير مثل قوله تعالى : " أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت " ؟ وإلى الجبال كيف نصبت ؟ وإلى الأرض كيف سطحت ؟ سورة الغاشية الآيات ١٧ - ٢٠

" ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ، إن يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور " سورة الشورى آية ٣٣

" أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء "

٠وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون " سورة يس الآيتان ٣٣ ، ٣٤

ثم ترى القرآن فى عرضه الآيات التى تجل عن الحصر يجعل خاتمتها دائما بقوله تعالى :" إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار " ٠٠ " إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون " ،" إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" ، " إنما يتذكر أولوا الألباب " ٠

وهكذا تترى الآيات منبهة الأبصار شاحذة السمع ، آمرة العقل بالتدبر والألباب بالتفهم ، موقظة النعسان ، كلها دعوة للتفكر والتأمل والبحث والتنقيب والاستطلاع ٠ ففى جميع الآيات السابقة وغيرها من كتاب الله التى لم نستطع حصرها ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يمكن أن يشتم الإنسان أن الإسلام فرض علما معينا أو طريقة معينة فى البحث بل ترك الهدف والغاية والوسيلة للإنسان فى حدود ما رسمه من خطوط عريضة ، وترك لكل فرد بعد ذلك كامل الحرية فى تقرير ما يراه .

وقد كفل الإسلام للإنسان حرية الخطابة وحرية الصحافة وحرية التفكير والبحث العلمى ، وبذلك كان المسلمون فى أول عهد الإسلام والعصور التالية له سادة الأرض وعلماءها ، ففتحوها

وعمروها بعلمهم وبحوثهم وفنهم ، والأندلس بفنها العربى لتشهد بذلك ، وكفى أن يؤمر المسلم المسلم بأن يدعو الله حسب أمره فى كتابه العزيز " وقل رب زدنى علما " سورة طه آية ١١٤ ٠

الفصل الثالث الحرية السياسية فى الإسلام

الحرية السياسية هى مزاولة كل فرد بالغ رشيد عاقل فى اختيار السلطة التنفيذية القائمة على تنفيذ التشريع وتطبيق القوانين بما فيها رئيس الدولة ، وذلك عن طريق الممثلين عن الأمة انتخابا من بين افراد الأمة ، بحيث تحوط الانتخاب، ضمانات السلامة فى إجرائه ، وطمانينة الناخب لطريقة إبداء رأيه حرا دون تأثيرات خارجة عن إرادته ٠

والحرية السياسية فى نظر الإسلام جزء أساسى من الحرية الإنسانية ، حيث تتضمن حرية الفرد فى اختيار رئيس الدولة الذى كان يطلق عليه اسم الخليفة أو الإمام ، وحرية إبداء الرأي الشورى ، لرئيس الدولة ، وحرية نقد الحاكم ، وحرية التظلم إلى رئيس الدولة ، وحرية عدم طاعة الخليفة إذا خرج عن حدود الله وحاد عن الحق .

واختيار الحاكم فى الإسلام يتبع فيه نظام جليل ، هو اشتراك المسلمين جميعا فى اختياره ، وذلك أن أهل الرأي فى الأمة هم الذين يتولون اختياره ، فاذا اتفق كلهم أو اتفقت غالبيتهم على أحد الاشخاص بايعوه ، ثم يتبعهم باقى الشعب فى مبايعة الخليفة ، وبذلك يكون الإسلام قد قرر أن اختيار الخليفة موكول إلى المسلمين ، وأن الخلافة الصحيحة هى ما كانت نتيجة بيعة حرة لا ضغط فيها ولا إكراه ، اشترك فيها جميع المسلمين أو الغالبية الكبرى .

ومن هنا يمكن الوقوف على حكمة النبى صلى الله عليه وسلم فى أنه لم يعين الخليفة الذى يخلفه ، وذلك حرصا من النبى صلى الله عليه وسلم من أن يستغل الخليفة بعده سلطته الدينية فى تعيين الرسول له ، إذ ان الإسلام لا يعرف طائفة دينية مثل طائفة الأكليروس فى الكنيسة المسيحية، و ليس الحكم فى الإسلام أداة لقيام هيئة دينية معينة ، و لكن الإسلام

هو تنفيذ الشريعة الإسلامية ، والحكم فى الإسلام لا يحتاج إلى أكثر من تنفيذ تلك الشريعة ٠
والحاكم فى الإسلام مطالب بالعدل بين الناس، فلا يحابى ولا يعادى إلا بقدر ما يتطلب منه تنفيذ تلك الشريعة، وألا يكون عداؤه إلا فى سبيل الله ، وأن يساوى فى وجهه وفى مجلسه حتى لا يطمع شريف فى محاباته ، ولا ييأس ضعيف من عدله ، ولا يخاف إنسان حيفه، وهذا لما أمر الله به الحكام فى قوله تعالى : " ان الله يامر بالعدل والإحسان " سورة النحل آية ٩٠ ٠
" وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " سورة النساء آية ٥٨
" وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى" سورة الانعام آية 152 .
" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى " سورة المائدة آية ٨
والحاكم كما أمر من لله بالعدل والتقوى أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، حيث بين الرسول أن احب الناس إلى الله وأقربهم منه مجلسا يوم القيامة الإمام الذى يعدل فى حكمه ، طبقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان احب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا أمام جائر " ٠
ولم يكتف الإسلام بذلك بل أوجب على الحاكم والسلطة التنفيذية ألا يبرم أمرا من أمور الدولة الخطيرة، التى تمس الكيان العام إلا إذا كانت هناك المشورة بين الحاكم والمحكوم ، على أن تكون الشورى قائمة على احترام الحاكم لرأى المحكوم، وذلك بأمر الله عز وجل لنبيه فى قوله تعالى ٠" وشاورهم فى الأمر " سورة آل عمران آية ١٥٩ .
" وأمرهم شورى بينهم " سورة الشورى آية ٣٨ .
وذلك لأن الشورى أصل من أصول الإسلام أوجبتها الشريعة الإسلامية لتحدد اشتراك الحاكم والمحكوم فى الحكم ، ولتجعل

السلطة التنفيذية مسئولة أمام المسلمين جميعا .
وقد جعل الإسلام السلطة التنفيذية محاسبة ومراقبة عن كل ما تقوم به فى حدود وظائفها العامة أمام المسلمين جميعا ، ويمكن الرجوع إلى قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته بعد أن بايعه المسلمون على الخلافة : " أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم " وفى خطبة أخرى له بقول " إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان استقمت فتابعونى وان زغت فقومونى " ، ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه " ألا إن رأيتم فى اعوجاجا فقومونى " .
كما أوجب الإسلام على الحاكم أن يكون متواضعا لين الجانب ، يبتسم فى وجه الجميع ويبش لهم ، وذلك تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دخل عليه إعرابى فى المسجد يقود جمله ، فبال الجمل وغضب لذلك بعض الصحابة وأراد أن ينهر الإعرابى فمنعه النبى صلى الله عليه وسلم وقام من مجلسه وأخذ قربة من الماء وطهر مكان البول ، فكان لتواضع النبى أثر فى اعتناق الرجل للإسلام ، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يتجه إلى الصحابة قائلا : "لو نهرتم هذا الرجل لخرج كافرا " ، وصدق الله العظيم القائل فى حق نبيه :
"0فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر " سورة آل عمران آية ١٥٩
وقد اجاز الإسلام للفرد حرية نقد الحاكم فى حدود الأدب الإسلامي ، فقد جعلت تلك الحدود لكل مواطن أن يبدى رأيه فى تصرفات الحاكم ، ولذلك عندما قال عمر بن الخطاب : " إن رأيتم فى اعوجاجا فقومونى " قام إليه رجل فقال : " إن رأينا فيك اعوجاجا قومناك بالسيف " ، فاغتبط عمر بما قاله الرجل وشكر الله سبحانه وتعالى أن بلغ المسلمون هذا الحد من

اليقظة والوعى ، وإنى لأذكر ما روى من أنه كانت توزع قطع من الاقمشة من بيت المال وضمنا خص أمير المؤمنين قطعة ، ولما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب طويل القامة ، والقطعة لا تكفى له ثوبا ٠ أكملها من قطعة عبد الله ابنه ، وفى يوم كان يخطب الناس ، فقام إليه رجل وطلب منه أن يبين كيف حصل على ما يكمل ثوبه ، وقال له أكلت للناس بكيل و لنفسك بكيل آخر فأشار عمر إلى عبد الله ابنه ، الذى وقف وقال : لقد أعطيت ما خصنى لابى ليكمل ثوبه ، ثم اتجه عمر إلى الناس قائلا : " الحمد الله الذى جعل فى المسلمين من يسأل الحاكم ويقول له من اين لك هذا الشىء ، "، ونحن بصدد عمر لا ننسى يوم ان إعترف أن رأى امرأة أصوب من رأيه فقال : " أخطا عمر وأصابت امرأة " ، ونزل عمر على رأى المرأة لصوابه ولم بأخذه عزة الحكم ولم يغره السلطان .
ويقول عثمان بن عفان رضى الله عنه حينما انتقده الناس وأخذوا عليه المآخذ " إنى أتوب وانزع ، ولا أعود لشىء عابه المسلمون ، فاذا نزلت من منبرى فليأتنى أشرافكم فليرونى رأيهم ، فوالله لإن ردنى الحق عبدا لأذلن ذل العبيد" .
ولتوفر هذ الصفات فى الحاكم ، فقد أوجب الإسلام على المسلمين ان يطيعوا هؤلاء الحكام ، وان ينفذوا أوامرهم ، وجل الطاعة لولى الأمر طاعة مستمدة من طاعة الله ورسوله ، وذلك لقول الله عز وجل ٠" ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" سورة النساء آية ٥٩
ولن يطاع الحاكم فى الإسلام لذاته وإنما يطاع لقيامه على شريعة الله ورسوله ، وفى تنفيذه لهذه الشريعة دون سواه يستمد حق الطاعة ، فإذا انحرف عنها سقطت طاعته ولم يجب لأمره النفاذ ، ويقول صلى الله عليه وسلم : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " ، ويقول عليه الصلاة

والسلام : " اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن راسه زبيبة ، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " .
وقد منح الإسلام الفرد حرية التظلم إلى رئيس الدولة من ظلم الولاة أو المبعوثين ، وقد كان عمر يرسل إلى ولاته ويجتمع بهم فى موسم الحج ، وينادى فى الناس : من كانت له مظلمة على أحد الولاة فليتقدم للشكوى منه ٠ وكان عمر يستمع إلى الشكاوى ويقوم بتحقيقها بنفسه ، وذلك لم يكن مبتدعا من عمر حيث كان يقلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفه أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد كان عمر أول من أنشا ديوان المظالم ونظم القضاء فى الإسلام .
وان تاريخ الإسلام لحافل بالامجاد التى توضح ديمقراطية الإسلام فى منحه الحريات بجميع أنواعها ، وان ديمقراطية الإسلام للتتبلور فيما حدث حين استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى شأن بعض الاسرى ، ليقتلون أم يطلق سراحهم فى مقابل فدية يدفعونها ؟ فأشار معظم الصحابة بقبول الفدية ، وأشار عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ بقتلهم ، فنزل عليه الصلاة والسلام على رأى الاغلبية، حتى جاء القرآن الكريم مؤيدا رأى عمر وسعد ، فقال الله تعالى :
" ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم "" سورة الانفال آية ٦٧ ٠
فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأى القرآن المؤيد لرأى عمر وسعد بن معاذ ٠
والإسلام يطالب الراعى والرعية على أن يعملوا على إرساء قواعد الحرية السياسية بحيث تحوط تلك القواعد الدعائم القوية لتلك الحرية المطلقة دون قيد ، فيكون الحاكم راعيا فى رعيته ومسئولا عنها ، والرعية راعية الرقابة المحكمة على الحاكم والسلطة التنفيذية حتى لا يخرج الحاكم عن الحدود المرسومة نتيجة تغافل وتهاون الرعية ، لان المسلمين أمام

الله مسئولون عن نشر ورفع راية الدعوة الإسلامية ، كل فى حدود استطاعته وسع امكانياته على هدى الكتاب والسنة ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : " قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى " يورة يوسف آية ١٠٨

الفصل الرابع الحرية المدنية فى الإسلام

الحرية المدنية معناها إعطاء الفرد الرشيد البالغ العاقل الحق فى تحمل الالتزامات العامة والخاصة فى هذه الحياة ، فالحرية المدنية تعنى إعطاء ذلك الحق في أن يختار نوع العمل الذى يزاوله حسب طاقته الجسمانية والعقلية والتكسب من شتى طرق الكسب المشروعة ، واختيار الزوجة التى تناسبه واختيار المرأة الرشيدة العاقلة الزوج الذى يناسبها وترتضيه أن يكون زوجا لها ، وحرية الإقامة فى أي بلد يشاء وإلهجرة والرحيل من أي مكان إلى مكان آخر ، ونوع العلوم والمعارف التى يدرسها ، وحرية الفرد فى حق التملك والبيع والشراء والهبة والوصية والرهن وغير ذلك ٠ .

فقد أعطى الإسلام الفرد حق اختيار العمل الذى يتناسب مع امكانياته ، كما أعطاه حق التكسب من أي نوع من الأعمال المشروعة ، دون أن يفرض عليه نوعا من العمل ، أو يكلفه ما لا طاقة له به ، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى :

" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " سورة البقرة آية ١٨٦ ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ٠ " لا تكلفوهم مالا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم " ، كما طالب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يساعد العمال وتهيأ لهم أسباب تمكينهم من أداء العمل وإتقانه ، وذلك لقوله فى الشطر الآخر من الحديث السابق " فاذا كلفتموهم فأعينوهم " ٠

وقد حفز الإسلام المسلمين على العمل بأنه زينة لهم وجعله شرفا كبيرا ، وجعل العامل مسئولا عن عمله وصاحب العمل مسئولا عن راحة العامل وتأمين نفقاته ، حيث يقول الله عز وجل : " ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا " سورة فصلت آية ٣٤

" ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون " سورة يس آية ٣٥ " ولتسألن عما كنتم تعملون " سورة النحل آية ٩٣ ٠
" من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون " سورة هود آية ١٥ .
" ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون" سورة الاحقاف آية ١٩
" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون " سورة فصلت آية ٨
" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " سورة الكهف آية ١٠٨ .
" فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى " سورة آل عمران آية ١٩٥
والسنة الكريمة تطابق القرآن الكريم فى هذا الشأن ، فالأحاديث النبوية التى تجل عن الحصر كلها تحفز على العمل وتدعو إليه وتحيط بالعمل والعامل نفس السياج الذى أحاطهما به القرآن ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شرف الكسب " إن اشرف الكسب كسب الرجل من يده " ، ويقول رسول الله صلى الله علبه وسلم فى وجوب إجادة العمل : " إن الله يحب من العامل إذا عمل عملا ان يحسنه " وفى رواية أخرى " أن يتقنه " ، وفى الدفع إلى العمل وتزيينه وتحسينه فى نظر العامل :"لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بما وجهه ، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " ، ويقول عليه الصلاة والسلام فى هذا المعنى " اليد العليا خير من اليد السفلى " ويقول عليه الصلاة والسلام فى شأن وجوب راحة العامل " إن لبدنك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لربك عليك حقا فأد كلا حقه " .
والإسلام يهتم بموظف الدولة والعامل فيها ويوليه رعاية خاصة تجعل له الاستقرار والأمان اللذبن يمكنانه من أداء عمله فى

كفاية ونزاهة ، وذلك أن جعل من نفقات الزكاة جزءا للعاملين عليها ، لقول الله عز وجل : " والعاملين عليها وفى الرقاب"
وقد أولى صلى الله عليه وسلم موظف الدولة تلك الرعاية، فأوجب أن يكون للعامل الحق من ناتج عملة ، وبهذا التكافل يمكن أن تبنى الدولة بناء سليما فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولى لنا عملا و ليس له بيت فليتخذ بيتا، أو ليس له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ له دابة 0" ٠
كما منح الإسلام الفرد حق اختيار الزوجة الصالحة التى تناسبه ويتكافأ معه ، والتكافؤ شرط من شروط الإسلام التى اشترطها وجعلها ركنا وشرطا لا يكون عقد الزواج بدونهما صحيحا ، وبذلك يكون الإسلام قد وهب الفرد ما لم يعطه دين آخر أو أي قانون وضعى ، وهذا العطاء وهذه المنحة تتجلى فى قول الله عز وجل : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) " سورة النساء آية ٢٤ .
كما قرر الإسلام حق المرأة الرشيدة العاقلة فى اختيار زوجها المتكافىء معها ، وذلك باختيارها ورضاها دون إكراه ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " الأيم أحق بنفسها من وليها " ٠
وقد قرر الإسلام منح الفرد حق التنقل من بلد إلى بلد والإقامة فى أي مكان يشاء من أرض الله ، دون إكراه ، وذلك لقول الله عز وجل : " وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور " سورة الملك آية ١٥
كما أوجب على الذين لا يجدون فى بلادهم وسيلة من وسائل العيش سواء كانوا مستضعفين من الحكام أو ضاقت بهم سبل الرزق أن يهاجروا إلى غيرها من أرض الله الواسعة ، وقد اطلق الله على الذين استكانوا للكسل أو الاستضعاف والتكاسل أنهم

ظالموا أنفسهم فى قوله عز وجل : " إِنَّ الّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)" سورة النساء آية ٩٧. وقد قرر الإسلام حرية الفرد فى اعتناق ما شاء من المبادئء ، ودراسة ما يشاء من العلوم والفنون ، بل فرض عليهم البحث والتحرى والتحقيق ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يبين وجوب طلب العلم من المهد إلى اللحد حيث قال : " يظل العبد يطلق عليه عالما حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل " ولكن لم يفرض الإسلام على الفرد علما معينا بل تركه لموهبته وقدرته على الفهم والبحث وقد بينا ذلك فى فصل " الحرية الفكرية " من هذا الكتاب ٠٠ ويقرر الإسلام لكل انسان حق التملك ، وهذا الحق نتيجة تسخير كل ما فى الكون من أموال ومنافع وأرض وبحار وأنهار لهذا الإنسان ، وذلك يتوارد مضمونه فى آيات القرآن الكريم التى نتخذ منها على سببل المثال آية ولله المثل الأعلى ٠

" الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " سورة الجاثية الآيتان١٢ ، ١٣ .

والملكية مصونة يصونها القانون ويحرسها إذا كانت الملكية بالطريق المشروع ، كما أوجب الإسلام على المجتمع أن يحمى هذه الملكية بأن أمر بالعدل على الإنفاق وعدم التبذير لقوله عز وجل ٠" ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " سورة البقرة آية١٨٨ .

كما قرر الإسلام حق الفرد فى البيع والشراء والرهن والوصية، وقد بينا ذلك فى المساواة الإنسانية والإقتصادية فى فصول سابقة من هذا الكتاب، ولما كان الإسلام أحكامه متصلة لا يمكن

الفصل بينها، اضطررنا إلى تكرار الأيات كأدلة لبعض نواحى وأبواب وفصول هذا الكتاب ، والله الموفق ٠

الفصل الخامس الحرية الدينية فى الإسلام

الإسلام دين الخلود والنظام العالمى الذى جاء لينظم مستقبل البشرية ، وهذا النظام مستمد من أن محمدا رسول الله إلى الناس كافة ، وأنه خاتم النبيين ، وأن دينه هو الدين القويم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
" وما أرسلناك إلا كافة للناس " ٠ سورة سبأ آية ٢٨ .
" وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين " ٠ سورة الأنبياء آية ١٠٧ .
" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما " سورة الأحزاب آية 40" .
لذا كانت سياسة الإسلام السمحةالنبيلة أساسا لما سار عليه حيال أنواع الحرية وتتبلور السياسة وتتجلى تلك الأسس فى الحرية الدينية أو ما يسمى بالتعايش الدينى فى الإسلام ، حيث قرر مبادىء هى أرفع ما وصل إليه التشريع الحديث بصدد حرية العقيدة والدين
احد هذه -المبادئء : " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " سورة البقرة آية ٢٥٦ . فلم يفرض الإسلام على غير المسلمين اعتناقه أو الإيمان به، بل ترك لهم أقصى درجات الحرية والحماية فى مزاولة عباداتهم وإقامة شعائرهم الدينية وفرائضهم التعبدية ، وبلغ من دقة إحساسه لهذه الحرية أن فرض الزكاة على المسلمين وأوجب ما يقابلها من الجزية على غيرهم ، وعدم فرض الزكاة على الذميين وأهل الكتاب يرجع إلى أن الزكاة شعيرة تعبدية وركن من أركان الإسلام، ولذلك لم يشأ ان يفرض أي نوع من أنواع العبادة الإسلامية على غير المسلمين، والتزم بحماية دافعى الجزية وتأمينهم فى عقائدهم ومعاشهم ٠
واذ يقول مفتر أن الإسلام فرض على الناس بالسيف ، فلنرد عليه : ان الإسلام لم يفرض اعتناق مبادئه وتعاليمه بالسيف ، بل سار . المسلمون فى عرض دينهم على أساس من الحرية ،

وإذا كان الإسلام قد أمر بقتال المشركين ، فإنما هى الحرب لرد العدوان حيث قال الله تعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " ٠ سورة. البقرة آية ١٩٠ ٠
" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز" ٠سورة الحج الآيتان ٣٩ ٤٠٤
والحرب فى حالة نكث العهد والكيد للدين الإسلامي ، والخروج عن العرف والتقليد الدوليين فى حماية الأرواح والأنفس .
" وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " . سورة التوبة آية 12 .
والحرب حيث تستوجب الاعتبارات التى تتعلق بسلامة كيان الدولة والقضاء على الفتنة ، فقال الله تعالى : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير " . سورة الانفال آية ٣٩ .
" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين " . سورة البقرة آية ١٩٣ .
ومع ذلك فقد كان المسلمون يبيحون لأهل البلد الذى يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة الإسلامية القائمة، ودفع الجزية من غير المسلمين ودفع الزكاة من المسلمين إنما هو مشاركة من الطرفين لحماية الدولة وبنانها من مسئولية المسلمين عن حماية الذميين ، ولقد بلغت الحماية إلى حد بعيد جدا وهو مناصرة هؤلاء الذميين ضد أعدائهم ، وقد بلغ الإسلام فى الوفاء بعهوده لغير المسلمين الى حد عدم نصرة المسلمين أنفسهم على المعاهدين ٠

" وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق " سورة الانفال آية ٧٢ ٠
وقد أوجب الإسلام على المسلمين احترام عقائد غيرهم وشعائرهم ومعابدهم وقد رسم ذلك ووضحه قول عمر بن الخطاب فى رسالته لأهل بيت المقدس ٠٠"هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لانفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم " ٠
وقد كان الذميون فى عهود الإسلام المتوالية يعاملون معاملة المسلمين فى جميع وشتى أنواع المعاملة فى الحياة ، وذلك لقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " ويذكر التاريخ ان عمر كان يتجول فى أنحاء المدينة ليتحسس أحوال الناس ، فرأى يهوديا مسنا يتبول ويسأل الناس الحافا ، فناداه وسأله أدفعت الجزية إبان قوتك وشبابك ؟ فأجاب نعم ، وهنا قال عمر : "ما دمت قد دفعت الجزية صغيرا وجب على بيت مال المسلمين أن يرعاك كبيرا " ، وفى رواية أخرى " دفعت الجزية قويا فوجب على بيت مال المسلمين أن يرعاك ضعيفا " وصرف له من بيت مال المسلمين ما يكفيه ويكفى عيإله .
ومبدأ آخر شرعه الإسلام فى شأن غير المسلمين ، هو حرية البحث والمناقشة فى الشئون الدينية ، فأمر المسلمين أن يلتزموا طرق الاقناع والمنطق السليم مع أهل الأديان الأخرى ، وقرع الحجة بالحجة ، والبينة بالبينة ، وذلك لما أمر الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى اتباع طريق الدعوة إلى الله بالحسنى وقوة الحجة والبرهان بدون إكراه ، حيث قال الله تعالى : "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " سورة آل عمران آية "64 . وفي هذا يقول الله تعالى مخاطبا رسوله عليه الصلاة

والسلام : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن " سورة النحل آية ١٢٥ . ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين : " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن " سورة العنكبوت آية ٤٦ .
وفى الحجة والبرهان ومطالبة أهل الكتاب والذميين من اليهود والنصارى يأمر الله نبيه بأن يخاطبهم ويطالبهم . ٠ " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " .
" هل عندكم من علم فتخرجو ه لنا ؟ " ٠
" قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين " ٠
فإن اصروا على معتقداتهم . فقد بين الله لرسوله الطريق بقوله سبحانه وتعالى : " فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب ، والاميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" سورة آل عمران آية 20 ٠
ومبدأ ثالث ، قرره الإسلام ، هو أن الإيمان لا يكون صحيحا إلا إذا كان منبعه من القلب عن يقين وإقناع ، لا عن تقليد واتباع ، وأهاب بالناس أن يجعلوا عمادهم فى عقائدعم ونشر دينهم الأدلة العقلية والمنطق السليم والدعوة إلى النظر والتفكير ، ورفض ما لا يؤيده علم ولا يعززه دليل ، لأن الإسلام لا يقبل أن يمن الذين آمنوا به على الله إيمانهم .
" قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان "سورة الحجرات آية ١٧ .
والإسلام إذ يدع للآخرين حريتهم فى هذه الحدود ، يتأثر بروحه الإنسانية العامة ، وهو على ثقة تامة بأنهم متى أتيح لهم أن ينظروا فى الإسلام نظرة تدبر وإمعان، دون حيلولة من القوة المادية أو الجهالة الفكرية ، فإنهم بنظرتهم يفيئون إلى الإسلام الذى يحقق ما هدفت إليه جميع الديانات من قبله من

مساواة ، وتكامل تام ، وتكافل لا يعدوه تكافل ، ووحدة إنسانية ، وحرية لا نهائية ٠

خاتمة الكفة الراجحة

يولد الإنسان على دين آبائه ، ويشب على مبادئهم ، ويتربى جسمانيا وعقليا متشبعا بآرائهم ، مؤتمرا بأمر دينهم ، وربما فاق قومه تطرفا وزادهم تمسكا بدينه ، حتى إذا شب عن الطوق ، وفى ساعة من ساعات الصفاء الروحى والحياد العقلى ، تأمل فيما يدين به ، وناقش ما يلقى عليه من تعاليم ، فتساوره بعض الشكوك ، ومن هنا تكون الشرارة الأولى التى تنطلق فتولد عنده الصراع الفكرى الذى يعتبر بداية التحرر مما قد يسميه فى ذلك الوقت متناقضات ، أو على الاقل ما يظنه متناقضات : ثم تتطور تلك التى ظنها إلى مسائل تعتبر فى نظره شائكة تتطلب الحل فيضطر أمامها إلى البحث والتنقيب عن الحقائق .

وفى غمرة البحث والتنقيب قد يطرق سمع ذلك الإنسان نداء يدعوه إلى اعتناق مبدأ من المبادئء ، أو دين من الأديان ، وبعد نظرة خاطفة إلى مظهر هذا الدين أو ذاك المبدأ يرفض هذا المبدأ وذلك الدين وينفر ، بل يعرض ويفر منهما ، وبكون الرفض والفرار وسبب النفور والإعراض نتيجة تنسم رائحة التكليف المبنى على الإرغام والإكراه على اعتناق هذا أو ذاك ، دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه لأنه من العسير على العقل الواعى والوجدان المتحرر والضمير اليقظ والإلهام الفطرى أن يطمئن لدين أو مبدأ يجبر معتنقيه على الإيمان به ، وذلك يخالف ما فطر عليه الإنسان من حرية التفكر والبحث فى كنه ما يدرى وما لايدرى وما يريد ان يدرى ٠

وقد تطرأ على الإنسان الرغبة الملحة التى تبلغ به حد التطفل ، فيسترق السمع فى غفلة من دينه الذى ولد وشب عليه ، إلى صدى دعوة تدعو إلى دين آخر ، فإذا به قد وجد ضالته المنشودة ، وأصاب الهدف الذى يبحث عنه والغاية التى كان يحلم بأمل الوصول اليها بشتى الوسائل ، فيأخذ الدين الذى وافق هواه ،

وحل جميع المسائل التي تكون قد اضمحلت قيمتها أمام الحاج الفطرة التى تدفع الإنسان للصراع الفكرى ، فيضطر إلى دراسة خفايا هذا الدين والبحث عن مدى جدية الدعوة الجديدة ، ومدى مقدرتها على موافقة الهوى الذى يكون قد استبد بذلك الإنسان الذى بريد أن يسير وراء عقله الفطرى حرا طليقا ، دون النظر إلى الأبوة أو العشرة أو الأموال التى اعترضته ، وعالج جميع ما صادفه من مشاكل ووضع حدا دفعا قويا للبحث عن الحقائق .

وكلما كانت الحقيقة التى يدعى الإنسان إلى الإيمان بها سلسلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تكليف ، ولا إكراه ، تحمل فى ظاهرها وباطنها ما يتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها خلقه ، كانت حقيقة غنية بوسائل الدعوة لنفسها ولمبادئها ، ويتهافت الناس على الإيمان بها ، لأنها لا تحتاج إلى دعاة يستعملون أساليب الكياسة والفطنة المدعمة بمعسول الألفاظ والمنطق الخلاب حتى يجرون اليها المعتنقين اليها جرا ، ويجذبون المؤمنين اليها جذبا ، وذلك لأن الحقائق ليست بضاعة تتعلق بمطالب الجسد الترابى ، إنما هى مطلب الروح والعقل ، والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى لا التواء فيها ولا دوران ٠

ومؤلف هذا الكتاب صاغته الحالات الثلاث، ودار فى فلكها، واصطلى فى أتون الفكر ردحا من شبابه ، فقد ولد على دينه من أديان أهل الكتاب ، ونشأ يقلد أبويه مترسما خطى أجداده ، مؤديا طقوسهم وشعائرهم ، حتى بلغ أشده ونال حظا من علم الدنيا ، وجه إلى تعلم أسرار دينه، ثم دفع به فى هذا المضمار وزج به فى طريق ينتهى به أن يكون دعامة من دعائم الدعوة لهذا الدين ، ورب قائدا من قادته ٠

وقادتنى الدراسة إلى إصاخة السمع إلى عدة نداءات ، وصلت إلى سمعى نتيجة الثغرات التى أوجستها الريبة والشك فيما لم يستطع العقل قبوله، وما لم يطمئن إليه الضمير لحظة الطهر

الوجدانى ، مما أدرسه أو ما اعد لتحمله من المهام، فكان لتلك النداءات حظ من الإنصات الذى أعقبه التفكير فى الأديان السابقة على دينى ، فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث وجدت بعد التمحيص أن أغلال دينى اخف وطاة من قيود ما سبقه من الأديان ، من نواحى التكليف والإكراه والارغام ، نتيجة الطغيان الكهنوتى والكنسى ٠
وبعد أن أكملت دراستي ، ولم أكن قد اصبت ما رمت إليه ، وما أتعبنى الكد فى البحث عنه ، تحولت إلى البحث فى الدين الإسلامي ، وفى هذه المرة لم تكن بغيتى الفرار من دينى ، ولكن كان قصدى من البحث فى الإسلام استخراج العيوب وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات ، التى أوحى إلى بها من اساتذتى وأهلى ، ولكن ما كدت أطرق الباب وأمسك بأول الخيط ، حتى دخلت باب المقارنة بين ذلك الدين وما سبقه من أديان وخرجت من تلك المقارنة وقد استولى على سحر الحقيقة الناصعة والمبادئء الوضاءة ، والتعاليم الصريحة ، لا اعوجاج فيها ولا التواء ولا سلطان لكاهن ، ولا سلطة لكنيسة ولا طغيان لأحبار ٠وجدت لكل سؤال جوابا شافيا ، ووجدت فصل الخطاب فيما لم يستطع أي دين سابق ، سواء كان وضعيا او.منحدرا من الأديان السماوية أو مبدا من المبادئء الفلسفية ، وقولى منحدرا يرجع إلى انحدار الديانات على يد رجال الدين الذين خرجوا بها عما جاءت من أجله ، ما لم يستطع كل هؤلاء أن يعطونى جوابا عنه فيه اقناع أو اقتناع ، وجدت أن ما زعموه فى الإسلام عيوبا مزايا ، وما ظنوه ، متناقضات حكما وأحكاما وشرائع فصلت لأولى الألباب ، وان ما عابوه على الإسلام كان علاجا للبشرية التى طالما تردت فى بيداء الظلمات ، حتى أخرجها الإسلام من الظلمات إلى النور ، وهدى الناس باذن ربهم إلى صراط مستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين الذين ضلوا وأضلوا ودخلوا

بالناس أبوابا من الكفر والشرك والإلحاد ، وجدت الإسلام قد أخرج أسرابا من شبه الجزيرة عاشوا فى بيداء الشرك والوثنية إلى التوحيد الخالص، دون اصطدام مع الفطرة أو واقع الحياة والطبيعة البشرية، مما جعل الإسلام يأخذ بلبى ويقبض على لبابتى ، ومن واضح أحكامه ونور تعاليم وصدق رسالته حملنى على الإيمان به والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فانقدت إليه دون إكراه أو ضغط أو إغراء ، ولكنى آمنت به عن تعقل وتفكر ودراسة وتمحيص وتطلع ومراجعة وبحث والحمد لله الذى أنعم على بنعمة الإيمان بدين قال الله فى حقه : " إن الدين عند الله الإسلام " وحيث أن من لم يؤمن بالإسلام فقد خسر دينه ودنياه وحرمت عليه الجنة فى أخراه " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين " ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله " ، " ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا " ٠

واعترافا بنعمة الله على وتفضله بأن هدانى للإيمان ، وبعد أن حاولت جهد استطاعتى وإن كان الجهد جهد المقل أن أرد بعض الجميل لله بتوضيح ما علمنى إياه فى هذا الكتاب ، أردت ان أختم هذا الكتاب بموجز ابين فيه طبيعة الإسلام المبنية على حرية الفكر وتحرر الوجدان والمتفقة مع ما تنادى به فطرة الإنسان المتحرر من القيود والاغلال قبل ان تطغى على عقله القوى المادية أو الجهالة الفكرية أو القيادة الدينية، أو السلطة الكنسية ٠

ان طبيعة الإسلام تدعو إلى التوحيد الخالص ٠

" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) " سورة الاخلاص ٠

ولا تدعو إلى تأليه لبشر ، ولا نسبة بنوة النبى إلى إله ٠

" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد " سورة الكهف ٠

وأعطت الإنسان مركزه الحقيقى وحريته فيما يختار لنفسه من سعادة فى الدنيا والآخرة ، أو من شقاوة يوم لا تغنيه فيه دنياه عن آخرته.
" بل الإنسان على نفسه بصيرة " سورة القيامة .
وقد أحاط الإسلام الإنسان بالعلم حتى لا يقع فى الشرك الذى وقع فيه غيره، ورسم له الطريق الذى يسير عليه وأرسل له النبى ومعه كتاب أنزل عليه من ربه يحمل بين ضفتيه تبيان كل شىء ، ما رأى خيرا إلا وأمر به ، وما رأى شرا إلا ونهر الناس عنه .
" ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " سورة البقرة آية ا ، ٢ ٠
" حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون " سورة فصلت من ا -٣ ٠
وهيأ للإنسان أسباب الحياة لكى يعيش فى دنياه متمتعا بزينة الله مع العمل للاخرة لا رهبانية ولا عكوف فى الصوامع ، إنما ليعيش راهب الليل فارس النهار ٠
" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض " سورة القصص آية ٧٧ .
الإسلام بطبيعته وضع المجتمع فى الاهداف الأولى التى هدف اليها فقرر رباط الأسرة ونظام المجتمع ، كما قرر المساواة الإنسانية والمساواة الإقتصادية ومنح معتنقيه الحرية بشتى أنواعها ، سواء كانت حرية فكرية ، أو حرية سياسية ، أو حرية مدنية ، أو حرية دينية ، وترك للمسلم حرية مناقشة دينه ، وذلك ثقة من أن المسلم كلما تبحر فى علوم الإسلام ، كلما تمسك به وازداد إيمانا .
وأخيرا أقول قد رجحت كفة العمل بمبادئه ، وصدق الله العظيم : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وضيت لكم الإسلام دينا " سورة المائدة آية ٣ .

وفى الختام ندعو الله ان برسوله الأمين .

" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) " سورة آل عمران . " رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) " سورة آل عمران